الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلدون - تيارت-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
تخصص: تاريخ

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة الماستر
تخصص: تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط
الموسومة بـ:

التأصيل التاريخي من خلال الشعر الأندلسي شعر النكبات أنموذجا للتأصيل التاريخي

إعـــــــداد الطالبتين:
- بلقربوز هوارية
- سميشة وسيلة

تحت إشـــراف:
د. بن عودة بلقاسم

لجنة المناقشة:

د بوخلـــوة حســـين	رئيســـــــا
د. بلقاســم بـــن عـــودة	شـــرفا ومقـــررا
د بلقنيشـــــي علـــي	مناقشـــــــا

السنة الجامعية: 2020-2021

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

نشكر الله العلي القدير ونحمده حمدا كثيرا الذي أمدنا بالقوة والثبات والعزيمة

لإنجاز هذا العمل المتواضع

ثم الشكر والتقدير لأستاذنا المشرف، صاحب الحكمة البالغة والرفيعة والعقل المنير، الدكتور بلقاسم بن عودة، الذي لم يبخل علينا يوما بتوجيهاته، ونصائحه القيمة، وصبره علينا، ومساندته لنا، من إتمام هذا العمل الذي سطره من بدايته إلى آخر نقطة وضعت فيه رغم انشغالاته الكثيرة وكل شكر وألف شكر لك يا أستاذنا.

ويشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر لأعضاء اللجنة المناقشة على قبول مناقشة هذه المذكرة وتحملهم عناء قراءتها ومراجعتها وإثراءها بملاحظاتهم القيمة.

ونقدم الشكر الجزيل إلى كل الاساتذة الذين أناروا لنا الطريق من الطور الابتدائي إلى المتوسط إلى الثانوي كل واحد باسمه.

وأخيرا نتمى على كل من يقرأ هذه الرسالة أن يغض طرف عن التقصير الذي لم يسلم منه أي باحث في أول طريق.

وآخر دعوانا أن الحمد الله ورب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

إهداء

أهدي ثمرة نجاحي للسنوات العديدة من دراستي إلى أعز من نور عيوني وأغلى من روحي إلى "أمي العزيزة"

إلى كل من أكنّ له كل التقدير والإحترام والإفتخار... إلى من منحني حرية في سبيل طلب العلم إلى حاطار قلبي "أبي رحمه الله"

والآن نرفع الحتار إلى الشموع التي أنارت لي دربي

إلى الإخوة والأخوات: "بن عودة، ميلود، نعيمة، خالدية، كريمة، حمية"، وإلى أولادهم.

قد تنهي العيون من ترى وبعجز اللحار بالنطق

إلى حبيبتي وصديقتي ونور عيني وأملي في الحياة "وحام"

وإلى خالتي "فاطيمة"

إلى من حاندتني في محواري الجامعي "وحيلة".

إلى بنات حواء "حنان، حهيلة، فوزية، إيمان، أحلام، زينات، رحيدة، أمينة".

إلى كل عائلة "بلقربوز"

حواريـــة

إهداء

الحمد لله الذي وفقني في هذا العمل ولولا قدرته ورحمته لما بلغت

هذا المقام والصلاة والسلام على خير البرية والأنام حبيب الخلق

محمد صلى الله عليه وسلم.

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من ربى وآثر على نفسه، إلى من جاهد وتعب طوال حنين حياته، أبي العزيز الغالي .

أهدي هذا النجاح لأمي الغالية نبع الحنان إلى من سهرت الليالي وسهدت أحزاني وأفراحي أمي أطال الله في عمرها.

إلى اخوتي وأخواتي.

إلى من ساعدنتني طوال مساري الجامعي "هوارية"

إلى بنات حواء "حنان، سهيلة، فوزية، إيمان، أمينة".

إلى كتاكيت المنزل: "أكرم، آلاء، قطر الندى، محمد،

رحيل، هديل، رميساء، إسحاق، صارة محمد يوسف".

إلى الأحتاذة الأفاضل "فارس كمال، منور جباري، الطاهر

قوادري أحمد"

وسيلة

قائمة المختصرات

المختصر	الكلمة
د ط	دون طبعة
د س	دون سنة
ج	جزء
ط	طبعة
مج	مجلد
تح	تحقيق
تع	تعليق
تر	ترجمة
م	ميلادي
هـ	هجري
تق	تقديم
ع	عدد

مقـــــــدمة

لا يكمن الغرض الأساسي لدراسة التاريخ في سرد الأحداث والتغني بالأمجاد والبطولات بقدر ما هو تأمل في تحليل تلك الأحداث وسبر أغوارها، واستخلاص القيم والعبر منها لتدارك أخطاء الماضين، حيث يكمن في تكوين نظرة استشرافية للمستقبل، ففي صفحات تاريخنا العريق العديد من المحطات المميزة التي مر بها سقوط الأندلس التي شكلت في ازدهارها منارة حضارية بددت ظلام التخلف والجهل الذي خيم على أوروبا.

إن الأحداث التي مرت بها الأندلس تعد من أهم الدروس التي يجب أن نستخلص منها العبرة بحكم تشابه أزماتها مع الواقع الحالي، حيث كان لدراسة التأصيل التاريخي في الأندلس حظا وافرا من الدراسات التي تطرق لها المؤرخين والعلماء، لأن سقوط هذه الحضارة شكل صدمة كبيرة في نفوس الكثير من الشعراء الذين طالما تغنوا بها.

وعلى هذا فإن الشعراء لم يغفلوا عن ظاهرة تهاوي المدن الأندلسية وسقوطها في يد النصارى ، فتأثروا بهذه الظاهرة المهينة للأمة ونعوها في شعرهم حتى ظهر فن شعري جديد في الأندلس وهو ما يسمى : رثاء المدن ، فكانوا يرسمون صورا خالدة في التاريخ لسقوط تلك المدن واستطاعوا شحن الصغير قبل الكبير من رثاء الأندلس والتي أبكاها العديد من الشعراء الذين قاموا بتدوين النكبات بصفة سردية؛ أي طريقة انتقائهم للحوادث التاريخية الخاصة بالنكبات من خلال أشعارهم.

فأصبح شعر النكبات أو رثاء المدن من المصادر المؤصلة للتأريخ لذا وقع اختيارنا لشعر النكبات كأنموذجا لتأصيل التاريخ وتقصي حقيقة تدوين النكبات الأندلسية من خلال الشعر الأندلسي باعتبار أن الشعر ديوان العرب وأصل وأصول

التاريخ لسهولة حفظه وجريانه على اللسان، وميولنا لشعر النكبات كان لحزم النفس حينما يذكر الإنسان مصارع الأمم وانهيار الدول لاسيما تحت ما يسميه تاريخنا بحروب الاسترداد. وكذا الهول العظيم الذي يحدث من طرف النصارى على المسلمين من تدمير الحضارة مثل مأساة بربشتر.

وقبل الخضوع في خبايا هذا الموضوع الشيق والمثير الذي يحمل في خباياه دلائل كبيرة على عظمة وقوة الأدب الإسلامي الأندلسي، نجد أنفسنا أمام حتمية طرح الإشكالية الرئيسة من خلال ما يجب تحقيقه في هذه الدراسة:

- **إلى أي مدى يصبح الشعر أصل من أصول التأريخ؟ وكيف أرخ الشعراء من خلال قصائدهم لمآسي ونكبات الأندلس؟**

وقد وضعنا نصب أعيننا مجموعة من التساؤلات شكلت بجوهرها إشكالية البحث:

- ما هي النكبة وشعر النكبات؟ والفرق بينه وبين شعر الرثاء؟
- هل النكبة تتعلق بالمجتمعات أو بالمدن؟ وكيف يتم وصف هذا الشعر لنكبات المجتمعات والمدن؟

تكمن أهمية هذه الدراسة في معرفة الخبايا التي ميزتها الانتصارات والانعكاسات والنكبات التي عرفت التطور والتدهور، كل ذلك دَوَّنَهُ الشعراء الأندلسيين من أحرف من ذهب في أبيات تذهل من معانيها الأذهان، فكانت لا تمر نكبة إلا وتناولها شعراء الأندلس من خلال أشعارهم، وكان أغلب المؤرخين يلجؤون إلى تلك الأبيات لمعرفة مجريات وأحداث تلك النكبات وأسبابها، وبالتالي تولى أهمية

كبيرة للموضوع من بين أهم الدوافع التي دفعتنا للبحث فيه، فالشعر الأندلسي غني عن التفريق، لكن معرفة مدى تأثير النكبات التي ضربت الأندلس وأرغمت جل أقلام الشعراء على رثائها ومعرفة ظروفها التي كانت تجعل الشاعر الأندلسي يبدع في كتابة الأبيات التي تشحن الهم حول كل ما يخص تلك النكبات وحتى تتسم الدراسة والإحاطة بالعمق على المستوى المنهجي والفهم.

اعتمدنا في دراستنا على المنهج التاريخي الوصفي للخوض في تطور النكبات الأندلسية من خلال الشعر الأندلسي، وقد قمنا بتقسيم هذا البحث إلى:

افتتحنا دراستنا بمدخل تناولنا فيه الضعف الذي لحق بالأندلس وانتشار الفتن وتقسيم البلاد.

والفصل الأول عنوانه بـ: **حروب الاسترداد** وفيه أوردنا ماهية حروب الاسترداد وأسبابها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ثم انتقلنا إلى ذكر الظروف التي أدت إلى حروب الاسترداد والظروف النصرانية، والظروف الإسلامية واختتمنا هذا الفصل إلى أهم نتائج حروب الاسترداد.

أما الفصل الثاني فوسمناه **بالتأصيل التاريخي للنكبات** ذاكرين فيه التأصيل التاريخي للنكبات الأندلسية من خلال المؤرخين المسلمين، وكذا النصارى، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى التأصيل الشعري للنكبات، وفيه أوردنا بداية ظهور شعر النكبات وكذلك أبدينا مقارنة بينه وبين شعر الرثاء بدراسة وصفية لشعر النكبات، والمبحث الثالث تطرقنا فيه إلى بعض نتائج الشعر وما حدث فيها، كمأساة **بربشتر وطليطلة** كنموذجين من خلال ما ورد فيهما من أحداث، وصولا إلى **الفصل الأخير** بدراسة نموذج لقصيدة شعرية للنكبات للشاعر أبي البقاء الرندي، دراسة أنموذجية لشعره.

وخاتمة كانت عبارة عن حوصلت للنتائج المتوصل إليها من خلال شعر النكبات في الأندلس.

أما الصعوبات التي واجهتنا هي قلة الدراسات التي تناولت ظاهرة النكبات بل استدعى إلى التنقيب في بطون الكتب والمراجع للاستفراغ المعلومات وطرحها أمام التمحيص والتحليل مما أعاق العملية البحثية.

لقد اقتضت طبيعة الموضوع الاعتماد على جملة من المصادر والمراجع نذكر أهمية محتواها فيما يلي:

- "**كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس**" الرطيب لمؤلفه أبي العباس أحمد بن محمد.

- المقري التلمساني (ت1041هـ/1632م) وهو عبارة عن "**موسوعة تراجم أدباء وفقهاء المغرب والأندلس**" وتكمن أهمية هذا المصدر من خلال تطرقه لعدد كبير من العلماء الأندلس الذين ساهموا في تمتين الروابط الثقافية بني الأقاليم، ولقد ساعدنا الجزء الرابع في نكبة طليطلة ومركزها الحضاري.

- الذهبي الذي "**سر أعلام النبلاء**"، والذي تعرضنا فيه إلى تعريف الشخصيات، أما ابن الأثير "**الكامل في التاريخ**".

أما المراجع فنذكر منها: كتاب "**حاملة الأندلس والتاريخ والحضارة**" لمحمد عبده، وكتاب حسين مؤنس، **فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية "711– 756م"**، وعبد العزيز فيلالي، "**العلاقات السياسية بني الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**"، أما

الطرابلسي أحمد أعراب الذي عنون كتابه بـ **"الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي"**.

وفي ختام هذه المقدمة نرجو أن نكون قد وصلنا إلى بحث أصيل يرقى إلى مصاب العملية البحثية الراقية ، كما نتمنى أن نكون قد أصبنا كبد الحقيقة وأضفنا شيئا جديدا للمكتبة ، ولا يفوتنا أن نشكر كل من أعاننا على إنهاء هذا البحث والوصول إلى ما هو عليه بدءً من الأستاذ المشرف بن عودة بلقاسم والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

المدخل

ضعف الأندلس وانتشار الفتن وتقسيم البلاد

إن تاريخ سقوط الأندلس سنة 897هـ/ 1492م بيد النصارى الإسبان كانت بداية لمأساة المسلمين، فمنذ ثمانية قرون من العطاء الحضاري مازالت بصماته واضحة المعالم في التاريخ الإنساني، فقد ساهمت بشكل مباشر في سقوط المدن والقلاع بيد النصارى قبل سقوط غرناطة بزمن طويل وبعد هذا الحادث المروع بالنسبة للوعي الإسلامي بدأت غرناطة تعد أيامها على البلاد والعباد على يد أعلا الإسلام، فاضطر آخر ملوك غرناطة عبد الله الصغير تسليم المدينة إلى الملكين إزابيلا وفرناندو وإلى غاية اليوم ظلت تلك الحقبة من تاريخ الأمة الإسلامية محل اهتمام الكثير من الباحثين والمؤرخين الذين حاولا تسليط الضوء على أهم العوامل التي أدت إلى انهيار أعظم حضارة عرفتها الإنسانية[1].

كانت الأندلس نموذجا أمثل لرقي المسلمين الثقافي والإسلامي، ولم يستطع التاريخ ان يقدم نظائر من العلماء والمفكرين وعندها تم انهيار الدولة العامرية 368-399هـ/ 978- 1009م، وكانت الأندلس على مدى 08 قرون تعتبر أرض الحضارة الربية الإسلامية والتي قدمت للإنسانية علماء وأدباء وشعراء مما كان لهم الأثر الإيجابي في نهوض اوروبا الحديثة، فبدأت هذه القوة تتلاشى وتضعف، فانقسمت الأندلس إلى ممالك وسميت بدول الطوائف التي دخلت في الصراعات الداخلية والتنافس المرير فأصبحوا يسمون بملوك الطوائف وطوائف الهمل وأمراء الفرقة وملوك الفتنة[2].

---

(1)- المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، سقوط الأندلس عوامل وتجليات قراءة في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج6، ع11، جوان 2020.

(2)- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه الدكتور: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج1، ص 80.

فحدث من خلال هذا الظلم اضطراب بين الأفراد والجماعات حيث انتشر الرعب والفساد واحيلت هذه الحياة إلى جحيم لا يطاق[1]، في ظله نما النفاق واشتدت الخصومات وضعف الدين في القلوب وسلبت الحقوق كما جاء على لسان سيدنا لقمان.

إلى جانب ذلك فقد خصص ابن خلدون فصلا بعنوان الظلم المؤلم بخراب العمران بين فيه أن الظلم إذا انتشر خربت البلاد واختل حال العباد وهي من السنن التي اودعها الله تعالى في الكون.

وتنطبق على الجميع ولا تستثني أحد حيث كتب في مقدمته قائلا: «واعلم أن هذه هي الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم وهو ما ينشأ عنه من فساد العمران وخرابه وذلك مؤذن بانقطاع النوع البشري وفيه الحكمة المراعية للشرع في جميع مقاصده الضرورية الخمسة، فإذا كان الظلم كما رأيت مؤذنا بانقطاع النور لما أدى إليه من تخريب العمران كانت حكمة الخطر فيه موجودة فكان تحريمه مهما وأدلته من القرآن والسنة كثيرة أكثر من يأخذها قانون الضبط والخطر»[2].

ومن هذا المنظور كان الظلم قد انتشر في دواليب الحكم بالأندلس، حيث كان أحد الأسباب الرئيسية في تدهور الحضارة الأندلسية فلقد كان طليطلة من الأوائل السباقين للسقوط في يد الاسبان وهذا راجع للظلم الذي انتشر بين حكامها

(1)– محمد عبده، حاملة الأندلس والتاريخ والحضارة، دراسة شاملة طباعة مطابع الدستور التجاري، عمان، الأردن، 2000، ص8.

(2)– ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الدار التونسية، تونس، 1984، ص305.

ضد الرعية فأفسدوا وعاثوا في الأرض ليكون إيدانا لخراب العمران وبداية نهاية الوجود العربي الإسلامي بالأندلس، وقد ذكر المقري في كتابه نفح الطيب الكثير من حالات ظلم الحكام ونستقصر في هذا المقام على نموذج واحد المتعلق بذي النون[1]، الذي كان يعرف عنه من فساد الأخلاق.

من خلال الفترة التي عقبت سقوط الدولة الأموية بقرطبة عام 422هـ/ 1030م تمزقت الدلو الأندلسية عدة دويلات أطلق عليها المؤرخون ممالك الطوائف التي بلغت عددها أكثر من 20 مملكة التي بدورها تناحرت فيما بينها، وذلك فريسة سهلة للنصارى حتى وصل الأمر بهم لدفع الضرائب للملك الاسباني ألفونسو السادس ولم يكتفوا بذلك بل نجدهم يتحالفون معه على بعضهم البعض، وبهذا الشأن ذكر المقري قائلا: «وانقطعت الدولة الأموية من الأرض وانتشر سلك الخلافة وقام الطوائف بعد انقراض الخلائف وانتزعا الأمراء والرؤساء من البربر والعرب والموالي بالجهات اقتسموا خطتها وتغلب البعض على البعض واستقل أخيرا بأمرها منهم ملوك استغطى امرهم وعظم شأنهم ولاذوا بالخير لطاغية أن يظاهر عليهم او يعتزهم ملكهم وأقاموا على ذلك برهة من الزمن»[2].

لقد كان سقوط الأندلس نقطة تتحول في تاريخ المسلمين، حيث رسم طريق انهيار بحكم جديد حيث تظافرت مجموعة من العوامل والأسباب التي أدت إلى هذه الكارثة حيث تعددت أسبابها من جوانب سياسية واجتماعية.

[1]- أن بني ذي النون: أسرة بربرية من قبائل هوارة واسم جدهم الأكبر هو زنون فتصحف الرسم بطول المدة ومضي الزمن فصار "ذو النون" وهو اسم شائع في قبائل البربر مات المأموم بقرطبة خلفه من بعده يحي ابن اسماعيل بن يحي بن ذو النون وذلك 467هـ- 1075م، وتلقب بالقادر الله ينظر علي راغب السرجاني من الفتح إلى السقوط، ط1، مؤسسة إقراء للنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة.

[2] - أحمد بن محمد المقري التلمساني، ج4، المصدر السابق، ص447.

من الجوانب الأساسية التي ساهمت في سقوط الأندلس الفساد الذي كان في الأمة أدى بها إلى الانهيار، فقد عرفت الفترة الأخيرة من تاريخ الأندلس فسادا سياسيا وانتشر الخلاف بين الملوك فتشتتت جهودهم وضاعت هيبتهم بين الأمم، ففي هذا الشأن نظم المرتضى المرواني قصيدة قال فيها[1].

قد بلغ البربر فينا بينا ما أفسد الأحوال والنظم

كسهم لطائر لولا الذي فيه من الريش لما الأصمى

إلى جانب ذلك اشتدت الفتن بين رؤساء الطوائف واتفقوا على أن دار الخلافة بقرطبة كما كان زواج الملوك بالأجنبيات بلاء على الدولة مما جعل صراعات داخل الأسر الحاكمة مما مهد لاستيلاء الاسبان على البلاد لم يرتبط سقوط الأمم وانهيارها الحضاري بعامل واحد بل نجد هناك عدة ظروف سواء سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.

فبالتالي فإن الحضارة الإسلامية بالأندلس لم تخرج عن هذه القاعدة التاريخية، فمن هذا المنطلق إن التقدم الذي وصلت إليه الأندلس أوقعها فيما يسمى بالإغراق في الترف والركون إلى الدنيا وملذاتها وهذه من أبز العوامل التي أدت إلى تلك النهاية، وقال تعالى في كتابه الكريم: ﴿**وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا**﴾[2].

فهذا الترف الذي تصل إليه الأمم خلال فترة معينة سيكون ممهد للخراب حيث كان العلامة ابن خلدون السباق للحديث عن هذه الظاهرة في كتابة المقدمة قائلا «فتكثر عوائدهم وتزيد نفقاتهم الترف على عملياتهم ولا يفي دخلهم يخبرهم،

---

(1)-المقري، نفح الطيب، ج4، المصدر السابق، ص438.

(2)- سورة الإسراء، الآية رقم 16.

فالفقير منهم يهلك والمترف يتفرق عطاؤه بترفهم يزداد ذلك أميالهم المتأخرة إلى ان يقصر العطاء كله عن الترف وعوائده وتمسهم الحاجة وتطالبهم ملوكهم بحصر نفقاتهم في الغزو والحروب فلا يجدون وليجة»[1].

حيث كان انتشار الترف وإسرار في ميادين من غير اولوية كان من الأسباب الرئيسية في انهيار الحضارة الأندلسية ففي عهد عبد الرحمن الناصر[2]، الذي اتسم عصره لكثرة الترف وكثرة إنفاق الأموال خاصة من خلال تشييد القصور الضخمة نموذجا على ذلك قصر الزهرة.

كانت طليطلة السباقة للسقوط بسبب الخصوم مع ملوك الطوائف الذين أرادوا امتلاكها خاصة بين أغطيس من حكام بطليوس[3]، وقد حكمها بني ذي النون إلى أن جاء يحيى بن اسماعيل المأمون الذي تميزت فترة حكمه لكثرة الحروب الداخلية حيث دامت فترة حكمه بالترف الشديد والاستعانة بالنصارى بحروبه حيث كان هذا الأخير عاملا من عوامل سقوط، الأمر الذي استغله النصارى القشتاليون حيث توجهوا إلى مناطق تابعة لطليطلة فحاصروها ولم يستطع سكانها مواجهتهم ليدخلها سنة 475هـ[4]، حيث اختلف المؤرخون في تحديد سنة السقوط فمنهم من ذكروا بعد حصار دام سبع سنين فكان أخذها في منتصف محرم 478هـ، وقال ابن خلكان أن

---

(1)- بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، حقق نصوصه وأخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله محمد درويش، ط1، دار يعرب، دمشق، 2004، ج3، ص332.

(2)- تعريف عبد الرحمن الناصر: عقب وفاة عبد الله عام 300هـ/912م، خلفه في الحكم حفيده عبد الرحمن بن محمد، وكان الأمير عبد الله قد أوصى لولده بولاية العهد، وآثره على ابنه الأكبر المطرف، إلا أن هذا الأخير حقد عليه وقتله سنة 277هـ، فحول عبد لله ولاية العهد إلى حفيده عبد الرحمن الناصر بعدما تعهده بالرعاية، وأوصى الجميع بطاعته. ينظر: ابن عذارى، المصدر السابق، ج2، ص 150.

(3)- حسين مؤنس، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية "711- 756م"، ط1، دار الرشاد، القاهرة، مصر، 1959، ص259.

(4)- أحمد بن محمد المقري التلمساني، ج1، المصدر السابق، ص352.

طليطلة أخذت يوم الثلاثاء 01 صفر 478هـ أما بن علقمة فقال إنها أخذت يوم الأربعاء من محرم 478هـ حيث كانت معركة الزلاقة المشهورة في السنة التي بعدها، وهذا ما أدى إلى سقوط الحضارة الأندلسية وخرجت من حكم المسلمين إلى الأبد، حيث أن بعض المؤرخون أو الباحثين يعتبرونها مرحلة التفوق السياسي لإسبانيا النصرانية، وبعد سقوط طليطلة جاء الدور على بطرنة وبلنسية التي كان طريق النكبة الأندلسية.

الفصل الأول

ماهية حروب الاسترداد

- المبحث الأول: أسباب حروب الاسترداد:
- المبحث الثاني: ظروف حرب الاسترداد
- المبحث الثالث: نتائج حروب الاسترداد:

معنى حروب الاسترداد: هي ما يسمى بالحرب أو حركة الاسترداد la reconqesta وتعني ترجمة حرفية للمصطلح الاسباني الريكونكيستا[1].

وحيث تعرف أيضا بكلمة –الاسترجاع- لأن ذات مدلول تاريخي خاص بتاريخ الأندلس الإسلامي، حيث عمل الاسبان منذ الفتح الإسلامي على استرجاع الأراضي التي فتحها المسلمون[2].

فقد تقدمت بعد حروب الاسترداد النصرانية في الجهات الثلاثة الجهة الأولى قادها الملوك البرتغال في الغرب، الجهة الثانية قادها ملوك قشتالة في الواد الكبير، الجهة الثالثة قادها ملوك الأراغون في الشرق رغم هذه الخلافات التي سادت في العلاقات بين هذه المماليك إلى أنها توحدت في حربها ضد المسلمين[3].

حيث تنبه جمهور المؤرخين المسلمين إلى ماهية حركة الاسترداد المسيحي، حيث وصفها أبو شامة المقدسي في كتابه تاريخ الدولتين بقوله: "بدأ النصارى الأندلس يسترجعون الأرض الواقعة تحت سيطرة المسلمين المستغلين ضعفهم وانقسامهم إلى دويلات وهذا ما عرف بحروب الاسترداد[4].

---

(1)- عبد المحسن طه رمضان: الحروب الصليبية في الأندلس، مكتبة الأنجار المصرية، القاهرة، دط، 2001، ص16.

(2)- محمد عمروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامية، بيروت، ط2، دت، ص241.

(3)- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، د3 ق2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ-1979، ص88.

(4)- أبو شامة المقدسي: الروضتين في أخبار تاريخ الدولتين النورية والصلاحية، إعداد: حسين العاصي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ- 1991م.

كما استشهد ابن عذارى المراكشي بمقولة ألفونسو السادس، حيث يقول مخاطبا المسلمين ونحن قد صمدنا إليكم ولا نبالي من أتانا منكم فإنما نطلب التي غلبتمونا عليها قديما في أول أمركم فارحلوا إلى عدوتكم واتركوا لنا بلادنا فلا خير لكم في سكناكم معنا بعد اليوم ولا نرجع عنكم أو يحكم الله بيننا وبينكم[1].

[1]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس، ط3، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1983م، ص282.

المبحث الأول: أسباب حروب الاسترداد:

1- الأسباب السياسية:

إذا تحدثنا عن العامل السياسي في استغفال حركة الاسترداد فيمكن إدراجه ضمن ازدياد القوة الملكية في القرن الخامس الهجري، وذلك أن الممالك النصرانية أصبحت تحكمها أسرة واحدة وهي أسرة شانجة الكبير ملك نبرة وثانية في قشتالة وثالثة في ليون بالإضافة إلى برشلونة التي كان يحكمها أهل برنجار أن توجد المملكة النصرانية للعمل وفق مبادئ التوسع في الأراضي الأندلسية ومحاربة ملوك الطوائف[1].

إن أسرة شانجة الكبير أولاده وأحفاده الذين حكموا المماليك الاسبانية طوال ذلك القرن لم تقع بينهم خلافات أو حروب وهم بذلك لا يختلفون كثيرا عن ملوك الطوائف في صراعهم لكن صراعات هؤلاء النصارى كان صراعات أسرية معظمها إن لم تكن كلها سبب النزاع حول العرش والسلطان، فكانت تشب الحرب بين الإخوة بسبب ذلك لكنها لا تلبث أن تنتهي بهزيمة واستسلامه لأخيه ودخوله في طاعته أو بقتله أو بنفيه وعلى أي حال كانت الأمور تعود إلى مجاريها وتعود مع الوحدة والقوة والرغبة في استئناف حركة الاسترداد من جديد[2].

كان الملوك والأمراء الذين أسهموا في الحركة الصليبية يسعون وراء أطماع السياسية في الحركة الصليبية حيث كانوا لم يستطيعوا إخفاؤها سواء قبل وصولهم إلى الشام وفلسطين، حيث أن النظام الإقطاعي ارتبط دائما بالأرض، وفي ظل هذا النظام كانت المشكلة الكبرى التي يمكن أن تواجه الأمير والفارس هي عدم وجود إقطاع أو أرض له مما يجعله عديم الأهمية وهذا ما أدى إلى بقاء عدد كبير من الفرسان

---

(1)- يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين الموحدين، تح: عبد الله عنان، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996، ص305.

(2) - يوسف أشباخ: المرجع السابق، ص15، 16.

والأمراء بدون أرض لأن من القواعد الأساسية في هذا النظام أن الابن الأكبر وحده هو الذي يرث الإقطاع فإذا مات صاحب الإقطاع انتقل الإقطاع بأكمله إلى أكبر أبنائه[1].

الأمر الذي جعل الفرسان والأمراء محرومين من الأرض يتحايلون بالتغلب عن هذه العقبة عن طريق الزواج من وريثه الإقطاع أو الالتجاء إلى العدوان والحرب، حيث نرى أن هناك عدة مظاهر سياسية حيث أخذوا الغنيمة وهم في الطريق أي قبل أن يستولوا على الغنيمة فعلا لأن الهدف كان سياسيا، ذاتيا وسياسيا حيث لم يكن يهمهم كثيرا ضد إخوانهم مما يدل على الوازع الديني كثيرا ما ضعف عند أولئك الأمراء، أما مصالحهم السياسية[2].

إن للدولة البيزنطية مكان لها من أملاك من قبل غارات الأتراك عليها، حيث جاز أن تقوم في تخومها إمارات مسيحية حاجزة لها حق السيادة عليها، حيث دفعت المسيحيين إلى الحروب الصليبية، فالفقر والرغبة في الكسب وروح المغامرة كان عوامل هيأت الجو المناسب للحروب، حيث أن هذه العوامل لم تظهر إلا بما نجم عن فكرة للحرب –المقدسة– وتخليص الأرض من الحماس الديني، ومن الواضح أن فكرة الحرب نبعت من إعلان الحرب على المشرق الإسلامي، وهذا ما درج عليه الاسبان والفرنسيون في قتال المسلمين في بلاد الأندلس.

حيث اتخذ هذا القتال صفة الحرب المقدسة سواء من جهة المسلمين، حيث أثار المرابطون في المغرب الإسلامي الجهاد الديني، أو من جهة المسيحيين في الحالة النفسية التي اقترنت بتوجيه الحرب إلى الشرق، حيث أن المؤرخ الكبير ابن الأثير نظر

---

(1)– علي محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، موسوعة الحروب الصليبية، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ 2008م، ص 27-28.

(2) – المرجع نفسه، ص 29.

إلى الخطر الخارجي نظرة شمولية واعتبر أي عدوان على طرف من أطراف العالم الإسلامي سواء في الشرق والغرب، وهو الغزو الأجنبي المنظم على أكبر قوة حضرية في العصور الوسطى، وهو الدولة الإسلامية[1].

ومن أسباب نجاح هذا الغزو ذي الشعب الأندلس صقلية الشام الحكام والمسلمون الأوائل وبناء الدولة الإسلامية[2]، حيث أن الكنيسة الفرعية كانت مجموعة لتوسيع رقعتها الإقطاعية والسيطرة على الكنائس الشرقية، إضافة إلى رغبتها في حرب المسلمين ومن أثر فعال في ذلك الحروب الذين كانوا ملتزمين بالدفاع عن ممتلكات الصليبيين في المشرق وحماية الأماكن المقدسة، حيث كانوا يرتبطون بالبابا مباشرة، حيث كانت كنائس بيت المقدس قد خصصت عشر دخلها لمساعدتهم في أداء رسالتهم الدينية المزعومة وهناك هيئة الفرسان التي اتخذت مقرها في جزء من هيكل سليمان في المسجد الأقصى، وسميت باسم فرسان المعبد، ثم حرفت إلى اسم الداوية[3]، هذا وقد كانت للبابوية ورجال الكنيسة القدرة على التأثير والضغط والتهديد بالسنبة لمن لم ينفذ رغبة الكنيسة بإصدار قرارات الحرمان التي تقضي بالرحمان من النجم في الآخرة ونبذ طاعته في الدنيا على حد زعمهم[4].

(1) – فاروق عمر فوزي، الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي، دار الشروق، ص: 156.

(2) – المرجع نفسه، ص: 156.

(3)– قايد حماد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، مصر، ط3، 1405هـ، ص: 24.

(4)– خاشع المعاضيدي، سوادي عبد محمد، دريد عبد القادر نوري، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، دن، دب، ط2، 1986م، ص: 24.

2- الأسباب الاجتماعية:

ساد المجتمع الأوروبي في العصور الوسطى تمايز طبقي كبير، حيث سادت فيه طبقة رجال الدين والمحاربين من النبلاء والفرسان[1]، وكانت طبقة الفلاحين تمثل الأكثرية المطوية على أمر ما والتي كان أفرادها يكدحون ليسدوا حاجة الطبقتين الأولين، حيث كان الفلاح الأوروبي مطويا على أمره وكان مطالبا بالالتزامات عديدة لأصحاب الإقطاع وكان البابا على دراية بأحوال الفلاحين الكادحين، فقد كان آلاف الفلاحين يعيشون عيشة منحطة في نظام الإقطاع، حيث شيدوا لأنفسهم أكواخا من جذور الأشجار وفروعها غطيت سقوفها بالطين دون أن يكون لها نوافذ وبدون أثاث وما كان يجمعه الفلاح كان يعتبره ملكا للسيد الإقطاعي، كما يعتبر محروما من الملكية الشخصية[2]، حيث كانوا محرومين من منتجاتهم، وبذلك يظهر مدى التعاسة والبؤس الذي كان يعيشه غالبية شعب أوروبا في القرن الحادي عشر ميلادي، وهكذا ظهرت الدعوة للغزو الصليبي وجدت هذه الغالبية العظمى فرصتها للخلاص من حياتها الشاقة مليئة بالذل والهوان، فإذا ماتوا في هذه الحرب كان لهم الخلاص، وإذا نجو كانت لهم حياة جديدة أفضل مما كانوا عليها[3].

عُرفت كنيسة بيت المقدس والقبر المقدس، لذلك لم يردعهم رداع عن الذبح والقتل، بل كان قتل المسلم مرضات ينال عليها الصليبي ثوابا يوم الدينونة[4].

---

(1) - محمد حامد اناصر، الجهاد والتجديد، مكتبة الكوثر، الرياض، ط1، 1419هـ1998، ص: 84.

(2) – المرجع نفسه، ص: 84.

(3) - خاشع المعاضيدي، سوادي عبد محمد، دريد عبد القادر نوري، المرجع السابق، ص: 24.

(4)- عبد الله الربيعي، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، دن، د ط، الرياض، 1415هـ، ص: 138.

3- الأسباب الاقتصادية:

إن حركة الاستعداد كانت بالضورة تسعى إلى تحقيق أهداف العلمانيين الذين خضعوا للتنظيم الإقطاعي، سواء كانوا من النبلاء وفرسانهم، إما من الفلاحين.

لقد كان الفرسان يتطلعون إلى توسيع سلطانهم وأملاكهم، ولم يكن هذا ممكنا دون اصطدام مع الملكية من أجل السيادة كان النبلاء الإقطاعيين يتطلعون إلى بناء السلطة الإقليمية على حساب الملكية[1]، ويعتبر التطلع إلى خيرات المشرق الإسلامي من أقوى دوافع الحروب الصليبية بعد الدوافع الدينية، وقد عبر البابا ذاوربان نفسه في خطابه عن أهمية العامل الاقتصادي بالنسبة لواقع أوروبا آنذاك فقال: «لا تدعوا شيئا يقعدوا بكم...ذلك أن الأرض التي تسكنونها الآن والتي تحيط بها البحار»، وقلل الجبال الضيقة على سكانها الكثيرين وتكاد تعجز عن كفايتهم من الطعام، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضا، ويلتهم بعضكم بعضا.

إن أورشليم لا نظير لها من ثمارها، بل هي فردوس المباهج[2]، وكانت فرنسا بالذات تعاني من مجاعة شاملة قبيل الحملة الصليبية، وإن جميع الوثائق تشير إلى سوء الأحوال الاقتصادية في غرب أوربا في أواخر القرن الحادي عشر، حيث كانت الأزمة طاحنة، حيث التجأ الناس إلى أكل الحشائش والأعشاب، فجاءت هذه الحرب لتفتح أمام أولئك الجائعين باب جديد للخلاص من أوضاعهم الصعبة، وهذا ما يفسر أعمال السلب والنهب للحملة الأولى ضد الشعوب النصرانية الذي مروا في أراضيها[3].

---

(1) - مفدي الزيدي، تاريخ الحروب الصليبية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، د ط، 2004، ص: 22.

(2) - عبد الله الربيعي، المرجع السابق، ص: 34.

(3)- سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4،الإسكندرية، 1986م، ج1، ص 30-32

اشترك عدد كبير من تجار المدن الإيطالية والفرنسية في الحروب الصليبية لغرض استغلال بحتة من أجل السيطرة على التجارية للسلع الشرقية التي أصبحت مصدر ثراء للمستقلين بها، وبذلك قامت أساطيلهم بدور فعال للاستيلاء على المراكز الرئيسية في الشام، حيث ساعد الفرنج على انطاكية سنة (490هـ/1097م)، واسهم البنادقة بعد ذلك بعامين في الاستيلاء على بيت المقدس، وكان هدف هذه الجاليات الأول والأخير هو الربح والكسب المادي ولكن لم يكن يعنيها الباعث الديني إلا بالقدر الذي يحقق مصالحها ويكفي أن نعرف أن شعار البنادقة الذين عرفوا به وقتذاك كان ليكن أول البنادقة ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين[1]، وبذلك قامت جمهورية إيطاليا بعقد معاهدات مع الأمراء الصليبيين بالمشرق، حصلت بمقتضاها على امتيازات اقتصادية هامة[2].

4- الأسباب الدينية:

قد كانت القصيدة وزن في عوام القوة في شمال الأندلس، حيث تطور موقف البابوية وازداد تدخله في شؤون إسبانيا الدينية ومساعدتها ضد المسلمين[3]، استخدم ملوك إسبانيا النصرانية الكنيسة في تدعيم هيبتهم وإقرار نفوذهم على رعايتهم، وكذلك استخدمها في صراعهم ضد بعضهم البعض وفي صراعهم ضد المسلمين[4].

وقد كانت ظروف الحرب مستمرة بين النصارى والمسلمين في إسبانيا قد حملت رجال الدين على أن ينزلوا هذا الميدان، وشأنهم في ذلك الأشراف وكونتات،

(1) – علية الجنزوري، الحروب الصليبية المقدمات السياسية، الهية المصرية للكتاب، القاهرة، دت، ص: 249.

(2) – محمد حامد ناصر، المرجع السابق، ص: 83.

(3) – محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص: 387.

(4) – رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية والملوك الطوائف، دار الكتب المصرية، د ط، د ت، ص: 328.

وكذلك يدعون إلى الحرب إلى مرافقة الجيش ولم يكن أحد من أفراد الشعب ورجال الدين يحظى بتقدير إلا إذا أبدى الشجاعة في محاربة أعداء البلاء والدين والمسلمين، لذلك جندت الكنيسة نفسها لخدمة هذا الهدف الذي كانت تسعى إليه البابوية والملكية الإسبانية وجماهير الشعب الإسباني، ومن ثم اعتبار الكنيسة الاسبانية كنيسة لها وضعها الخاص، فهي كنيسة محاربة تخدم ميدان القتال كما تخدم ميدان الدعوة المسيحية[1].

كان الدافع الديني من الأسباب الرئيسية التي دفعت بالجموع إلى قلب المعركة، وأن أهمية الجانب الديني، قد وصفوا إشارة الصليب على أسلحتهم والأمتعة الخاصة بهم وقصدوا فلسطين بالذات[2]، وظهرت حركة الإحياء الديني في غرب أوروبا في القرن العاشر ميلادي وبلغت اشدها في القرن الحادي عشر، قد أدت إلى تقوية مركز البابوية وإثارة الحماس الديني في نفوس الناس، هذه الحماسة استغلتها الكنيسة في متنافس خارجي، وعندما ظهرت فكرة الحرب الصليبية اتخذت كنائس الغرب الأوروبي ميدانا واسعا في استغلال نشاطهم المكبوت الحماس المنطلقة[3]، وكان ذلك بتخليص القدس من المسلمين[4].

ومن أشهر من تبنى الدعوة إلى الحروب الصليبية هو البابا أوربان الثاني والذي يعتبر المسؤول لأول عن ترويج لحرب المسلمين والتحريض على إرسالا الدعوة الأولى إلى بلاد الشام، وقد كانت الظروف مهيأة، حيث أعلن أن النصارى في المشرق

(1) – يوسف أشباخ، المصدر السابق، ص: 350.

(2) – أبو زيد، الحروب الصليبية والأسرة الزنكية، د ن، د ط، دب، د ت، ص: 17.

(3) – سعيد عاشور، المرجع السابق، ص: 80.

(4) – محمد حامد، المرجع السابق، ص: 80.

يعانون من ظلم المسلمين وأن الكنائس قد أصابها الدمار وحث الحاضرين على الانتقام من المسلمين[1].

والحقيقة أن ما أثاره البابا من تعرض نصارى المشرق إلى الاضطهاد هو إدعاء باطل لا يتفق وروح الإسلام وطبيعة الدعوة إليه، وما أحاط النصارى به من رعاية وعناية[2].

وكان من الشعارات التي رفعت في هذه الحرب أن الحجاج من النصارى كانوا يتعرضون للاضطهاد والعدوان وهم في طريقهم إلى بيت المقدس.

(1) – عبد الله الربيعي، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، د ن، الرياض، د ط، 1415هـ، ص: 81.

(2)– السيد الباز القرني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى الأيوبيون، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، دت، ص: 13-14.

المبحث الثاني: ظروف حرب الاسترداد

1- الظروف النصرانية

لقد كان المسلمون خلال فتحهم لشبه الجزيرة الإيبيرية يتقدمون في زحفهم كتيار الجارف، وقد كانت انتصاراتهم من العظمة والفخامة مما جعلهم يتأكدون أن الأمر تم لهم نهائيا، وأنهم أصبحوا ذو سلطة على البلاد، فقد كانت الجيوش الإسبانية التي انهزمت أمامهم في كل معركة تزحف نحو الشمال تركة الجنوب للفتوحات الإسلامية فقد أخطأ المسلمون عندما لم يقضوا على العناصر المسيحية الهاربة إلى الشمال وتركها هناك بعيدة عن كل رقابة[1].

لقد كان أخطر تجمع هو ذلك الذي التجأ إلى مرتفعات شمالية الغربية للأندلس والذي عرف عند المسلمين بصخرة بلادي Pama de paiayo نسبة إلى الزعيم القوطي بلادي حوالي سنة 98هـ 718م[2].

وتقول القصة أن بلاي نفي من طليطلة أيام الملك إفيطيشة لكن عاد لينضم إلى بلاد الإغريق ولما هزم هذا الأخير على يد المسلمين فر إلى استروش في شمال مع أخته إلى حاكم مدينة جيوجون الواقعة على خليج بسكاي ولقب به رهينة إلى قرطبة لإبعاده طمعا في أخته وتمكن هذتا الأخير من فرار مرة أخرى والعودة إلى الجبال حيث بدأ يحرض الناس على القتال وحمل السلاح ضد المسلمين حيث قام بتنصيب نفسه ملكا على مجموعة صغيرة من الرجال والنساء، وتحصن بصخرة عاتية تعرف

---

(1)-علي حسين الشطشاط، نهاية الوجود الغربي في الأندلس، دار القباء، القاهرة، مصر، 2001، ص: 86.

(2)-عبد الرحمن الحجي، تاريخ الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة (92-897م/711-1492م)، ط2، دار القلم، دمشق، سوريا، 1402هـ 1981م، ص: 269.

باسم صخرة كابو دونجا وأخذ جيش غاراته على المسالمين مستغلا انصرافه لفتح غالة[1].

إلى أن والي عقبة بن حجاج الذي حكم بين 116هـ 734م/123هـ741م وجه حملة إلى الشمال[2]، وصف نتائجها صاحب البيان المغرب قائلا: «...وافتتح بنبلونة وجلقية واسكنها المسلمون وعمت فتوحاته لجلقية كلها غير صخرة، فإنه لجأ إليها ملك جلقية وكان بها ثلاث مئة رجل فما زالوا يضيقون إلا بعمل يجيدونه في حزوق الصخرة، فأعي المسلمين أمرهم فتركهم وقالوا ثلاثون علجة ما عسى أن يجيء من هؤلاء علوج...» [3].

وهنا نستطيع القول أن خطر هؤلاء لم يبدأ بعد لأنهم كانوا مجرد جماعة صغيرة لم تقبل الحكم المسلمين فالتزموا الصمت والهدوء والسكون وقد انضمت إليها أعداد أخرى من الجماعات، حيث ازدادت قواهم حتى تشكلت منها وحولها الإمارة المسيحية القوية لشمال مستقلة اهتمام المسلمين بالفرقة والفتن[4]، وتعاظم التمزق السياسي بينهم فاستمدت هذه القوة المسيحية قوتها من الضعف الجبهة الإسلامية الداخلية[5]، حيث وصف بلاي بأنه الأصل الذي تفرع عنه كل ملوك قشتالة وليون

---

(1)– **غالة:** يطلق مصطلح غالة على بلاد التي تقع خلف جبال ألبرت والتي تسمى فرنسا.

(2)–عادي سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ط1، مطابع انتر ناشيونال، القاهرة، مصر، 1989م، ص: 041.

(3)– ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: م ر م س كولان، ليفي بروفينسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ص: 29.

(4)– عادل سعيد بشتاوي، المرجع السابق، ص: 40.

(5)– إبراهيم القادري بوتشيش، الانحصار الغربي في الأندلس في أواخر العصر الإمارة هل كان وراءه تفوق مسيحي، مجلة المؤرخ العربي الأمانة العامة لاتحاد المؤرخين العرب، عدد 34، سنة 13 بغداد 1407هـ 1987م، ص: 185.

فيما بعد،ـ ذلك لن العرش بعد وفاة ابنه فافيلا، آل إلى ألفونسو الملقب الكاثوليكي بعد أبى تزوج أرما سنداتية بلاي لأن فافيلا لم يترك وريثا للعرش[1].

2- الظروف الإسلامية:

إن تنامي حركة الاسترداد المسيحي ونجاحها يعود إلى تناحر المسلمين وصراعهم على السلطة من خلال تفشي الفساد والفتن الداخلية بينهم وكانت ممالك النصرانية تتجه نحو التماسك والوحدة ومن مميزاتها أثناء العهد الأموي، حيث انتهت خلافة بني الأمية بالمشرق وغلبهم العباسيون حيث أفلت عبد الرحمن بن معاوية بن هشام وقصد المغرب مع خادمه بدر[2]، وكان يحاول بناء دولة هناك لكنه عدل في فكرته نحو تأسيسيها في الأندلس فأرسل بدرا للقبائل المستعدين لاستقبال الأمير الأموي[3]، حيث دخل عبد الرحمن الأندلس سنة 138هـ، ونزل بقرية طرش البيزة ومن هناك أخذوا يباهونه[4]، ثم بايعته القبائل الأندلسية الأخرى[5].

وكان النصارى الشمال يتيحون الفرصة للهجوم على شمال الأندلس فكلما حدثت اضطرابات وفتن بالداخل حيث سارعوا لشن هجومات على الولايات الأندلسية، ففي فترة حكم هشام عبد الرحمن[6]، الذي بويع بعد وفاة والده من الخاصة

---

(1) – عبد الرحمن الحجي، المرجع السابق، ص: 270.

(2)– ابن خلدون عبد الرحمن الحضرمي (ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبر، مر: سهيل زكار ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1421ه 2000م.

(3)– ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: الصادق الحاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

(4) – ابن خلدون، المبتدأ والخبر، المصدر السابق، ص: 155.

(5) – سعيدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1، دار النهضة، بيروت، 1998م.

(6) – ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص: 241.

الخاصة إلى العامة، حيث حدثت فتن بسبب رفض أخيه سليمان وكان وقتها في طليطلة ووقعت حرب بين الأخوين وانتهت بهزيمة السلطان[1]، فلقي العدو وقضي عليه في سنة 175هـ.

واستعد لمواجهة النصارى ليبعث بجحيش بقيادة عبد الملك بن عبد الواحد الذي عبر البرنية، أخضع عدة قلاع وحصون ووقعت معركة ضد الجيش الويس ابن شالمان، حيث انتهت بتراجع المسلمين مع كثير من الغنائم[2]، حيث استعان حاكمها ألفونسو الثاني بحلفائه من الشبكس وتمكنوا من رد المسلمين في البداية لكن المسلمين انتصروا في النهاية[3].

توفي هشام في 180هـ فخلفه ابن الحكم 180هـ206هـ، واجه عهده الكثير من الجبهات الصراع الداخلية والخارجية والذي استقل الفرصة للهجوم على معاقل المسلمين مثل برشلونة التي حاصرها ابنه لويس وقطع الإمدادات[4]، عنها ثم ملكها في في 185هـ وفي سنة 192هـ جمع لذريق بن قارلة ملك الفرنجة مجموعة لحصار طرسونة، حيث بعث الحكم ابنه عبد الرحمن الذي استطاع هزم لذريق[5]، وهناك جرت جرت معارك مع النصارى، حيث خرج لذريق وأغار على مدينة سالم[6]، وبعد سلسلة

---

[1]– المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ 1968م، ج1، ص: 309. ابن خلدون، العبر، ج4، ص: 159. ابن عذارى، البيان، المصدر السابق، ص: 242.

[2]– المصدر نفسه، ج1، ص: 309. ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص: 159. ابن عذارى، البيان، المصدر السابق، ج1، ص: 242.

[3] –ابن عذارى، المصدر نفسه، ص: 243. ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج2، ص: 160.

[4] – سعيد نصر الله، المرجع السابق، ص: 74.

[5] – المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص: 266.

[6]– **مدينة سالم**: تقع مدينة سالم شمال مدريد بنحو 153 كلم في الطريق الرابط بين مدريد وسرقسطة وسميت سالم نسبة إلى سالم المصمودي الذي يحتمل أن يكون من الرعيل الأول الفاتحين والمدينة قاعدة للثغر=

سلسلة من الأحداث توفي عبد الرحمن الأوسط سنة 238هـ[1]، وخلفه ابنه محمد الذي سار على نفس سياستها، حيث عرفت فيها الفتن والاضطرابات التي كادت تعصف بالوجود الإسلامي بالأندلس بسبب تحالفات قادة الفتن مع النصارى ضد الحاكم[2]، وفي هذه السنة تولى عبد الرحمن بن عبد الله الناصر[3].

وفي عهده أغارت قوات أوردونيو الثاني ملك ليون على مدينة بابرة وتمكن قواته من الدخول إليها سنة 301هـ، لكنهم غادروها بسبب مقاومته سكانها وفي نفس السنة خرج الناصر إلى كورة رية وقرمونة ابن حفصون الذي انهزم ومن معه من النصارى.

ولما وقع لعبد الرحمن الأمر أقدم على أخطر عمل لم يتجرأ ممن أسلافه عن فعله وكان يتلقبه بالخليفة أمير المؤمنين الناصر لدين الله وأرسل بذلك إلى كافة أقاليم الدولة يأمرهم بالدعاء على المنابر[4]، وقد استمر لقبه هذا ومن خلفه من بعده حتى انقرضت دولتهم[5]، ومن خلال ذلك استطاع فرض سيطرته على أمم النصارى التي وسعت إلى السلم والمهادنة معه[6]، حيث وقعت مناوشات بين الطرفين وانتهت بمعركة

=الأوسط إلى جانب طليطلة وسرقسطة. ينظر: أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس، ص: 222-223.

(1) –ابن عبد ربه، العقد الفريد، ص: 493. المقري: نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص: 272.

(2) – نفسه، ص: 259.

(3)– **محمد عبد الله الناصر**: كاتب وقاص سعودي من مواليد الرعية (1370هـ1951م)، يكتب زاوية بالفصيح أسبوعي في صحيفة الرياض تولى العديد من المناصب من أبرزها تعيينه عضو في مجلس الشوري، وصدرت له العديد من المجموعات القصصية من بينها حصار الثلج وأحاديث القرى.

(4)– عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بني الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

(5) – المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص: 277.

(6)– نفسه، ص: 277.

حاسمة بني جيش الناصر ومن جهة وسميت هذه الغزوة بغزوة الخندق، حيث انهزم فيها المسلمون شر هزيمة وكان في سنة 323هـ[1].

وكذلك تعود أسباب هذا الانهزام إلى فقدان الوحدة بين صفوف الجيش الأندلسي وكذلك أرض المعركة التي لم تكن في صالح قوات المسلمين[2].

وصف ذلك استقرت الخلافة الأندلسية في عهد النصارى إلى عقر دارهم فقد عهد عبد الرحمن الناصر للمستنصر بالله وفي وقت قليل عادت النصارى للعدوان[3]، فأخذ الكونت كوثالث يغير على أراضي المسلمين المجاورة له ولما تمادى النصارى في طغيانهم تأهب الحكم لقتالهم وتمكن من تمزيق قواتهم حتى طلبوا الصلح[4].

ولما رأى ملوك النصارى من الحكم قوة وحزما أجمعوا على طاعة له وكان آنذاك هشام مؤيد بالله هو الخليفة الجيد صغير السن فقام حاجبه أبو جعفر المصحفي بإرسال محمد بن أبي عامر لردج النصارى هذا الأخير الذي تمكن من ردعهم وأخذ يفكر في دائرة السلطان والحكم[5]، ومن ذلك أراد المنصور أن يدعم نفوذه بعمل يكسبه شرعية في الحكم وشعبية بين الناس وهو الجهاد في سبيل الله فبدأ بغزو الممالك المسيحية بالشمال ففروا 52 غزوة باشرها بنفسه[6]، كما قام بمحاربة

(1)– السامرائي خليل إبراهيم، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار المدار الإسلامي، 2004، ص: 169.

(2)– عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الأموية والدولة العامرية العصر الأول، القسم الثاني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ 1997م.

(3) – نفسه، ص: 483-484.

(4)– حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ القرن السادس عشر إلى التاسع عشر، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1412هـ 1992م، ج2، ص: 395.

(5) – ابن عذارى، المصدر السابق، ص: 264.

(6) – ابن خلدون، ديوان مبتدأ وخبر، المصدر السابق، ص: 180.

النصارى في قشتالة ليون ونبزة وقطالوبناو بذلك حدثت خسائر فادحة وصل فيها إلى ما لم يصل إليه ملك من ملوك المسلمين فدانت له كل إسبانيا شمالا وجنوبا[1]، وبذلك توفي المنصور وهو في طريق الغزو لبلاد بن غومس صاحب قشتالة بمدينة سالم وعندما قوي عليه المرض اتخذ سريرا خشبيا وعسكريا تحف به وتطيع أمره وأوصى ابنه عبد الملك بأن يستخلف أخاه عبد الرحمن علي العساكر[2].

وقد عرف عبد الملك كيف يواصل الجهاد ضد الإسبان، حيث اتجه إلى حرب ساشو الأول في ربيع 347هـ، وفي نفس الوقت التجأ أوردونيو إلى اشتوريس واعتصم بها وذلك بمعاونة من طرف عبد الملك بن منصور ومعنى ذلك أن إسبانيا الإسلامية كانت تحكم في نفس الوقت مع إسبانيا النصرانية.

انتهز محمد بن هشام[3]، غياب عبد الرحمن بن المنصور في الشمال فأعلن الثورة في قرطبة وتم القضاء على اتباع عبد الرحمن وبذلك تم القضاء على الدولة العامرية التي دامت أكثر من 30 سنة[4]، وبذلك أعقب سقوط الدولة العامرية فتنة طاحنة فقد تدفق العامة النهابون على الزهراء فأتوا عليها نهبا وحرقا وأجبر الخليفة

---

(1) – المقري، المصدر السابق، ص: 392.

(2)– **عبد الرحمن علي العساكر**: لما توفي المنصور بادر عبد المالك بالعودة إلى قرطبة تاركا لأخيه الأصغر عبد الرحمن أمر العناية بموارد أبيه والعودة بالجيش وبدأ برؤية الهيمنة الأموي واستصدر منه مرسوما يقضي بتوليته الحجابة وكان لوافة المنصور وقع عظيم بقرطبة جيش أدرك العلماء والفقهاء، أن رزاءا فادحا نزل بالإسلام وبالأندلس. ينظر: عنان، دولة الإسلام بالأندلس، م1، ق2، ص: 608.

(3) – هو محمد بن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر تلقب بالمهدي كنيته أبو أيوب استولى على الخلافة وخلع هشام والمؤيد، فقام عليه هشام بن سليمان بن الناصر مع البربر فحاربه إلى أن هزم البربر الذين قدموا عليه هشام بن سليمان بن الناصر مع البربر فحاربه إلى أن هزم البربر الذين قدموا عليه السلام بن الحكم، فنهض بهم إلى الثغر واستجار بالنصارى. ينظر: الضبي، بغية الملتمس، ص: 24-25.

(4)– هذا العامل ألب جميع الناس على عبد الرحمن واجتمع المروانيون على عدائه ومقاومته وأراد أن يشغل الناس بأمر الجهاد فتجهز للغزو وخرج في وقت شديد البرودة كثيرا أمطار فتحصن الإسبان في حصونهم مما اضطر عبد الرحمن للعودة. ينظر: أسعد حومد، محنة الأندلس، ص: 99.

هشام على التنازل عن السلطة وهذا الأخير الذي ثار عليه هشام بن سليمان بن عبد الرحمن الناصر لكنه مات قبل الوصول إلى العرش، وبذلك توالت الفتن ليعود محمد بن المهدي إلى الخلافة لكنه قتل في نفس السنة وعاد هشام بن الحكم بعد أن أشيعت جنازته الكاذبة[1].

ويمكن القول أن الفترة التي أعقب وفاة عبد الملك بن المنصور كانت مليئة بالفتن ثم تصارعت فيها العناصر المختلفة في الدول كالبربر والصقالبة وأهل قرطبة وبرزت فيها مدن عامرة كالزهراء والزهرة ومن ذلك سقطت الدولة الأموية بعد عزل آخر خلفائها هشام الثالث المعتمد بالله وإخلاء من تبقى من المروانية عن قرطبة[2].

(1) – فيلالي، العلاقات السياسية، المرجع السابق، ص: 952.

(2)– يقال أنه تتوفي بعلة الذبحة، ويقال اتجاه عبد الرحمن دس له السم. ينظر: اسعد حومد، المرجع السابق، ص: 88.

المبحث الثالث: نتائج حروب الاسترداد:

1- ظهور النكبات الأندلسية:

تبدلت الأوضاع السياسية في الأندلس بعد مراحل من ضعف سياسي الذي بدأ منذ عهد ملوك الطوائف لاسيما بعد سقط طليطلة "Toldo" (478هـ/1085م)، وقد كان له أثر كبير في نفوس بيد موقعة زلاقة (476هـ/1086م)، التي حققت انتصار المسلمين بعد جواز يوسف بن تاشفين من المغرب إلى الأندلس آخر سقوطها إلا أن موقعة العقاب (609هـ/1212م)، زمن الموحدين التي هزم فيها كانت نذرية لجبهة الأندلسيين وأدت إلى تتابع سقوط مدن الأندلسية الأولى تلوا الأخرى لم تأتي نهاية القرن السابع هجري، إلا أن سقطت معظم الدول الأندلسية[1]، فقد استولى الإسبان على طليطلة (612هـ/1215م) وعلى لوجة (622هـ/1225م) وماردا (626هـ/1229م)، ميروقا (627هـ/1230م)، وأبدا (631هـ/1233م)، ثم تاليها قرطبة (633هـ/1235م)، وبياسا استاجة ومدور (634هـ/1236م)، وبلنسية (636هـ/1238م) وشاطبة ودانيا (638هـ/1240م) وغيرها وقد اشتاحت غرب الأندلس في وقت نفسه موجة مماثلة للغزو والنصراني فسقطت بطليوس وشلب وطلبيرة (656هـ/1260م) وسقطت قادس وتالتها شليش (662هـ/1263م)، فقد كان سقوط مدن وحصارها سببا في الحزن والقلق والاضطرابات في المشاعر من خلال الرعب الذي سببه أعداء التي لم يرعوا فيها ذمة لا للأطفال ولا للنساء.

كان سقوط المدن وحصارها سببا في حزن والغضب والقلق مع اضطرابات في المشاعر، لما سببه الأعداء من رعب في أهلها، ولم يراعوا فيها الأطفال ولا للنساء،

(1)– محمد عبد الله عنان، الأندلس وتاريخ العرب والمنتصرين دولة الإسلام في العصر الرابع، ص 16.

حيث يقول الفقيه الزاهد بن العسال (ت487هـ/1094م)، حينما استولى النورمان على بربشتر (45هـ،1036م)[1]:

ولقد رمانا المشركون بأسهم لم تخط لكن شأنها الإصماء
هتكوا بخيلهم قصور حريمها لم يبق لا جبل ولا بطحاء
جاسوا خلال ديارهم فلهم بها في كل يوم غارة شعواء
ماتت قلوب المسلمين برعبهم فحماتنا في حربهم جبناء
كم موضع غنموه لم يرحم به طفل ولا شيخ ولا عذراء

فقد كانت سقوط طليطلة (478هـم1085م) صدمة قوية، فقد أخذها العدو بعد حصار شديد من يد القادر بن المأمون يحيى بن ذي النون[2]، فقد كان نتيجة الضعف الضعف والخلافات بين دول الطوائف، وهنا نسمع ابن العسال الزاهد شاعر طليطلة مرة أخرى يقول[3]:

يا أهل الأندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدولا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات فهي سفط

إن ظهور النكبات الأندلسية تكرر استعمالها كثيرا في الشعر للتعبير عن الفجيقة أو الدلالة على المصيبة التي كانت تحل بالفرد والمجتمع والأقوام ومما جاء في الشأن الفردي أو الأسري ما قاله صريع الغواني متحدثا عن ديونه التي أثقلت كاهله فنكبته.

(1)– الحميري، الروض المعطار، ص 90.
(2)– المقري، نفح الطيب، ج4، ص 352.
(3)– المصدر نفسه، صج4، ص 253.

إن رمـــاني الـــدهر ســـنة بنكبـــه حتـــى حملـــت مـــن الـــديون ثقـــالا

ومثله شمانة بان الرومي بالوزير إسماعيل بن بلبل[1]، وتشخيصه منه لما نكبه الموقف:

فلـــئن تكتـــب لطالمـــا تكتـــب بـــل همـــه لجـــأت إلـــى ســـندك[2]

ومـن ذلـك فـإن النكبـات تتحـدد مصـادرها وتتنـوع، فيحـيى بـن علـي المـنجم[3]، يـرى في المصـاب أسـرة الموقـف بأمـة نكبـة وهـو يفـر بـه بهـذه المصـيبة الـتي يشـرب مـن كأسـها النـاس جميعا.

فمـــا النـــاس إلا اثنـــان: مفقـــور نكبـــة قـــد انصـــرفت أو ســـالم ســـوف ينكـــب

وكـذلك اسـتخدمت لتصـوير المآسـي الجماعيـة الـتي عصـفت بـبعض المماليـك والأقـوام والتعبـير عنهـا، فالشـاعر الجـاهلي ذو وجـدت الحمـيري[4]، مسـتعملا النكبـة وهـو يتحـدث عـن مصـير قومـه مـن قصـيدة تعتـبر واحـدة مـن قصـائد نكبـات الممالـك والأقـوال يقول:

فكيـــــف أبكـــــيهم دائبـــــا وكيـــف لا يـــذهب نفـــس الهلـــع

مـــن نكبـــة حـــل بنـــا فقرهـــا جرعنـــا ذا المـــوت منهـــا جـــرع[5]

---

(1)– إسماعيـل بـن بلبـل: هـو أبـو الصـقر أحـد وزراء الخليفـة المعتمـد. ينظـر: معجـم أنسـاب لزامبـاور، ج1، مطبعـة جامعة فؤاد الأولى، مصر، 1951م، ص 07.

(2)– زكـي مبـارك، زهـر الأداب وثمـر الألبـاب للحصـري، ج1، مكتـب المحتسـب، عمـان، ط4، 19672م، ص 315.

(3)– يحـيى بـن علـي المـنجم (241هـ/300هـ) البغـدادي، أديـب مـتكلم نـادم الموقـف وآخـرين مـن الخلفـاء. ينظر: الزركلي، الأعلام، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، د ط، د ت، ص 159.

(4)– الحمـيري علـي بـن زيـد بـن قحطـان، شـاعر جـاهلي لقـب ذو دودجـن لحسـن صـوته. ينظـر: السجسـتاني، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب، القاهرة، ص 43.

(5)– محمد حمدان، آداب النكبات في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004، ص 10.

ومن ذلك تأتي النكبة أحيانا للتعبير كما يمكن أن يصيب الأمة كما جاء في مدح العتاهية للخليفة الرشيد (170هـ/193هـ):

إذا نكب الإسلام يوما بنكبة فهارون من بين البرية ثائرة

وبذلك أصبحت وصفا لما حل بالبرامكة على يد الرشيد سنة 187هـ ومن المعلوم أن حركة الرشيد الاصطلاحية التي اصطلح على تسميتها بنكبة البرامكة[1]، أصابت بعضهم وبعض أتباعهم في بغداد وغيرهم.

2- أشكال ومظاهر النكبات الأندلسية:

تعرض علية ملوك الطوائف لنكبات أجبرتهم على ندب أنفسهم وتذكر سالف عهدهم قصد ما أسقط يوسف بن تاشفين ممالكهم قتل بعضهم وقبض على بعضهم كالمعتمد بن عياد صاحب إشبيلية الذي سجن في أغمات وظل في سخبه حتى ماتت وقد تعرض أبو عيسى بن ليون صاحب مربيطر لحذيفة شنتمرية فمكر به وسلبه ملكه بدعوى فظل يعاني مرارة الذل وسلب الملك إلى أن زهقت روحه[2].

فهذه النكبات التي داهمتهم ودفعتهم إلى رثاء ذواتهم وتذكر سوالف عزهم وسلطانهم فقد انقلب راسا على عقب وغدا حاضرهم ذلا وأسرا وعزية وحرمانا بل مرارة سلب الملك والجاه.

يقول المعتمد بن عباد راثيا حاله وملكه[3]:

غريب بأرض المغربين أسير سيبكي عليه منبر وسرير

---

(1)– ابن النديم، الفهرست، تق: يوسف علي الطويل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص 97.

(2)– فاضل والي الفتن والنكبات الخاصة، ص 67.

(3)– المعتمد بن عباد الديوان، ص 45

وتندبه البيض الصوارم والقنا وينهل دمع بينهن غزير
سيبكيه في زاهيه والزاهر الندى وطلابه والعرف ثم نكير
إذا قيل في أغمات قد مات جوده فما يرتجى للجود بعد نشور
فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة أمامي وخلفي روضة وغدير
بمنبتة الزيتون موروثة العلا تغنى قيان أو ترن طيور
تراه عسيرا أم يسيرا مناله ألا كل ما شاء الإله يسير

فالشاعر في أبياته هذه لا ينظر إلى الغد مستقبلا واليوم حاضرا بل يجعل الحياة (اليوم والغد) حاضرين ليبلغ منه التأثر مداه فهو يطوي المسافة بين اليوم والغد، وذلك من عجائب المفارقة وجمالياتها، وبذلك فقد رسم مرارة واقع المعتمد، حيث انقلبت به الموازين من النقيض إلى النقيض ومن ماضي العز والمجد إلى حاضر الذل والهوان.

لك الحمد بعد الملك اصبح خاملا بأرض اغتربت لا أمر ولا أحلي
طريدا شريدا لا أؤمل رجعة إلى موطن بوعدت عنه ولا أهل
وقد كنت متبوعا فأمسيت تابعا لدى معشر ليسوا بجنسي ولا شكلي
وقد كنت غرا بالزمان وصرفه فقد بان قدر العز عندي والذل
عزاء فكم ليث يصاد بغيله ويصبح من بعد من بعد النشاط لفي حبل

فقد احتضنت المقطوعة وحدات ثلاثا وحدة الوقوف على الأطلال وفيها، وأبو عيسى بن لبون، يقول وقد بات له الأسى ملء الجوانح:

خليلي عوجا بي على مسقط الحمي لعل رسوم الدار لم تتغيرا
فاسأل عن ليل تولى بأنسنا وأندب أياما خلت ثم أعصرا
ليلي إذا كان الزمان مسالما وإذ كان غصن العيش مياس أخضرا

وقد ضربت أيدي الأمان قبالها علينا وكف الدهر عنا وأقصرا
ولكنها الدنيا تخادع أهلها تغر بصفو وهي تطوي تكدرا
لقد أوردتني بعد ذلك كله موارد ما ألفيت عنهن مصدرا

3- نماذج عن النكبات:

أ- شعر الأطباء:

تنوعت تداعيات الفخر في قصائد العرب منذ العصر الجاهلي إلى العصر الحديث وبذلك كانت تدور معانيها خلال القصيدة الواحدة ضمن عدة جوانب شملت الفخر بالنفس والقبيلة وهو مما يدخل في باب المدح غير أن الفخر مدح يعيده المتكلم على نفسه أو قبيلته، وأن المادح يجوز أن يصف ممدوحه بالحسن والجمال ولا يوسع للمفتخر أن يصف نفسه بذلك[1].

ولم يكن تناول هذا الباب ضمن صورة موضوعية قائمة بذاتها فطالما عد موضوعا جانبيا يذكر ضمن قصيدة الغزل أو مديح أو رثاء أو زهد أو وصف أو شكوى ولا طالما كان في أكثره وليد المشكلات والصراعات النفسية والمادية المت بالشاعر مما جعل دواوين العرب حافلة بمثل هذا اللون الأصيل معبرة عن عروبة أصحابها وفضائلهم ورفضهم الذل والانصياع مهما كلف الأمر وكمثل معلقة عمر بن كلثوم أحد إبراز الشواهد الدالة على ذلك[2].

وما شهده المجتمع الأندلسي من مشكلات جماعية وفردية ما هو إلا امتداد لوضع فطري رافق حياة المجتمعات الأخرى وما يشكل من ضغوطات لقاء هذا الوضع يعد كفيلا لدعوة الشاعر إلى البحث عن متنفس بات يمثل رد فعل لما يحيطه من

[1]- القرطاجي، منهج البلغاء، ص 352.

[2]- عطوي فوزي، المعلقات العشر دراسة ونصوص، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، 1969، ص 113.

ضغط أو صراع أو حمية وما رافق أبو الصلت بن عبد العزيز في رحلة حياته من مصادفات مثقلة بالمحن والخطوب، وما آلت إليه الحالة في السجن لمدة عشرين عاما[1]، عاما[1]، وبالتالي فكان فخره يأتي كمبادرة فطرية الانسان يمتلك كبرياء وعزة والثقة ويريد كشفها لأولئك الظالمين، ونرى أن الشاعر يحدر ويتوعد من أراد المساس بشخصيته وتلوين سمعته أمام أحبابه ومقربيه أملا في النفور منه فهو يدرك حق الإدراك ما يدور في نفوسهم الإمارة بالسوء فيقول:

نجاءك من لساني فهو أمضي بمعترك الجدال من السان
ولا تعرض لهجوي فهو باق على مر الزمان وأنت فان
وجرح السيف يبرأ عن قريب ويعيا البرء من جرح اللسان[2]

وبذلك فإن المستقرأ يستشعر بطغيان الفخر على نعمة الفخر على لهجة التخدير تلك اللهجة التي بات من القوة ما جعلت عدوه يستعين عن القيام بفعل مشين ضده.

ب- رثاء المدن:

إن الرثاء هو التأبين وإذا كان المدح هو الثناء على الإنسان في حياته فان الرثاء أو التابين هو رثاء عليه بعد موته وهو من أغراض الشعرية التقليدية في أدبنا العربي، وبذلك فإن الشاعر قد يقضي بقوله حقوقا سلفت وبذلك فهو يظم صفات المرثى بتغيرات مبللة بالدموع[3].

[1]- أبو الصلت، ديوانه، ص ص 17-19.
[2]- المصدر السابق، ص 148.
[3]- عتيق عبد العزيز، الأدب العربي في الأندلس، ص 194.

ولكن الرثاء في الأندلس فلم بطابع جديد عن يختلف عن الرثاء التقليدي، من حيث المضمون وخاصة في العصر الأندلسي عصر بني الأحمر وهو رثاء المدن الضائعة فالحبيب المفقود والضائع هو الوطن وقد عبر الشعراء عن سقوط مدنهم وضياعها سواء سبب تفوق المسلمين وضياع كلماتهم أم سبب سيطرة النصارى عليها.

وبعدما جاءت ثورة هدا الشعر يوم سقوط إشبيلية بيد الإنسان عام 664هـ وقد أثار هذا السقوط موجة من الغضب والكره للأعداء في صدور معظم الشعراء ورافقهم هذا شعور بفقدان الأمل وأخذ العبرة والحكمة من الزمن.

لقد ضاعت الأندلس وعاشت الأمة الأندلسية سلسلة من التماس والنكبات حيث كأنها أسوا الأنثر على وجودها المادي والحضاري وكانت نكبة قرطبة في فجر القرن الخامس الهجري بداية لهذه السلسلة من المحن وأول منعطف خطير في تاريخ هذه الأمة الشهيرة التي عصفت بها قوى الطغيان والكفر بألوان متعددة من الذل والهزيمة التي طالت كل شيء[1]. كما مست المساجد والعمائر ولم يسلم منها إلا الذي تمرد على غضبة الدهر ولم تستطيع طاحونة الحرب أن تبيده[2].

وبذلك يشكل فإن الأندليسون لا يختلفون في مراثيهم عن المشارقة إلا أنهم تفردوا في رثاء المدن التي اختلطت دماؤهم بترابها وأنفاسهم بهوائها وعبروا عن نكبة سكانها وشعورهم بالندم أحيانا وبالدمع واستنجاد أحيانا أخرى[3].

[1]- الطرابلسي أحمد أعراب، الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي، مجلة عالم الفكر، مج12، أبريل 1981، ص 131.

[2]- عيد يوسف، أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993، ص 65.

[3]- عيسى فوزي سعد، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991، ص 181.

ويعتبر رثاء المدن من المراثي السياسية ولهذا فإن اللون الشعري اتجاهان اتجاه اتخذ طابع السلبي الذي يعكس الروح الانهزامية بميله إلى البكاء والاستنجاد بشكل ملحوظ، واتجاه آخر اتخذ الطابع النضالي الذي تمثل بحث الشعب على التضحية ومقاومة العدول وبذل الغالي والرخيص في سبيل الوطن[1].

بذلك أصبحت الديار الإسلامية خالية من الإسلام وخلوها منها كان لهول المعيشة العظيمة التي حلت بالديار الإسلامية وبذلك كانت الصورة عند أبي البقاء الرندي التي قد دمجت بين المبالغة التي التعبير عن المأساة والحزن والحسرة على ما حل في البلاد وبذلك قام ابن عميرة الذي يعتبر من الشعراء الذي يمثلون الاتجاه السلبي اليائس الذي وصف مشاعر الحزن والأسى التي تملكه، يقول:

ألا أيها القلب المصرح بالوجد أما لك من بادي الصبابة من بد
يحن إلى نجد، وهيهات حرمت صروف الليالي أن يعود إلى نجد
فيا جبل الديان، لا ري بعدما عدت غير الأيام عن ذلك الورد
ويا أهل ودي والحوادث تقتضي خلوي عن أهل يضاف إلى الودّ[2]

وبذلك ظاهرة الحزن واضحة وجلية فالشاعر لا يملك إلا هذا القلب الصرح وفي ذلك استفادة واقتباس من شعراء الجاهلية الدين ذكروا الأماكن وبكوا على الأطلال[3].

ومع سقوط المدن الاندلسية تغيرت جميع الملاح الدينية الموجودة فيها وهذا ما جعل العديد من الشعراء يقفون موقف الباكي والمتأمل والمعتبر وكان ذلك ضمن

[1]- طويل يوسف، مدخل إلى الأدب الأندلسي، ص 206.
[2]- المقري، نفح الطيب من سفن الأندلس الرهيب، ج1، ص 293.
[3]- الطرابلسي أحمد، إعراب الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي، ص 165.

هؤلاء ابن الآبار الذي رثى بلنسية وقدم لنا وصفا محزنا على ما حصل لمساجدها التي تحولت إلى كنائس تقرع فيها الأجراس عوضا عن الأدان يقول:

يا للمساجد عادجت للعدا بيعا وللنداء غدا أثناءها جرسا

لهفي عليها إلى استرجاع فائتها مدراسا للمثاني أصبحت درسا[1]

وبذلك فقد ظهرت في الأدبيات مسحة دينية تعبر عن عاطفة الحزن والاستنكار ما حل بالديار الإسلامية والمعالم الدينية الموجودة فيها وهذه مأساة أقلقت الشاعر وجعلته يتمنى عودة البلاد إلى السيادة الإسلامية وتغير الوضع المأساوي الذي آلت إليه بلنسية.

ج- شعر الحنين:

- **الرحلة الى المشرق وبلاد العودة**

بدأت رحلة الأندلس إلى المشرق منذ وضعت الحرب أوزارها، حيث يمم الأندلسيين وجوهم شطر المشرق لتلقي العلوم عند المشارقة وظلت هذه الرحلة حتى عصر ملوك الطوائف أما الرحلة الثانية بدأت عند انهيار الأندلس في الوقت التي بدأت فيه الحضارة العربية الإسلامية وبذلك قد عرفت الحضارة الأندلسية طريقها إلى الخصوبة والقوة والازدهار وقاموا تشييد حضارة عربية في الأندلس تضاهي حضارة المشرق العربي الإسلامي فكان لهم الفصل في المعرفة الأدب الأندلس ووجوده[2].

[1]- المقري، نفح الطيب من سفن الأندلس الرهيب، ج1، ص 216.

[2]- لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمود الله عنان، مكتبة الخانجي،ـ القاهرة، ط1، 1974، ص 123.

وبذلك كانت الرحلات الأندلسية إلى المشرق العربي إحدى طرق الاتصال بين المشرق المغرب، أما الأندلس في رحلاتهم هذه على الرغم من الخلافات السياسية بين الخلفاء العباسيين في المشرق والأمراء الأمويين في الأندلس وبذلك اضطر بعضهم إلى مغادرة بلاده بعد تعرضه للظلم من الحكام في الأندلس وبذلك أجبرت الأندلس على الرحيل فكانت الرحلة في طلب العلم هي الدافع القوي الذي جعل هؤلاء الأندلسيين يتركون بلادهم مولين وجوههم شطر المشرق العربي وكان الحج دافعنا قويا يربطهم بالمشرق من خلال مشاعرهم الدينية القوية[1].

وبذلك يوضح الألبيري من خلال هذين البيتين:

ذابت على الحمراء حمر مدامعي والقلب فيما بين ذلك ذائب

طلال المدى بي عنهم ولربما قد كاد من بعد الإطالة غائب[2]

ونلاحظ من خلال هذين البيتين شدة معاناته وألمه على فراق غرناطة حيث تساقطت مع دموعه غزيرة على فراق قصر الحمراء ودأب قلبه من شدة حبه لها فقد طال بهذه عن وطنه غرناطة ولا بد أن يكون لقاءه بوطنه هذا الفراق وهما ابن الجابر والألبيري يتحسران على الأيام السعيدة التي قضاها كل منها في وطنه ولكنها لم تدم لأن دوام الحال من المحال ومن المرحلتين من الأندلس إلى المشرق الإمام النحوي اللغوي نور الدين أبو الحسن علي بن أحمر بن أحمد بن حمدون المحميدي الأندلسي المالقي الذي ارتحل إلى المشرق وأحس بالغربة والبعد عن الوطن وشدة الشوق إليه ويرى أن أسعد أيامه ستكون أن قدرت له العودة إلى وطنه في ذلك.

فرقت أوطاني ولم أبلغ المن ودون مرادى أبحر وهضاب

[1]-ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 124.

[2]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 466.

قضى زمني والبيت حل بمفرقي وأبعد شيء أن يرد الشباب

وفارقت من غرب البلاد مواطنا فسعى ربي غرب البلاد سحاب[1]

- **الابتعاد والاعتقال**

كانت السياسة سببا رئيسا من أسباب السجن بل هي الدافع الأقوى من خلاله الكثير من الشعراء الأندلس في السجون والمعتقلات فهذه القضية هي من أنظر القضايا التي تواجه الإنسان في حياته والتي كانت تخلف الحسد والدسائس فالسجين أو الأسير كان يعاني الكثير من الناحية الجسدية والمعنوية في سجنه ويطفى عليه الشعور بالذل والمهانة وبذلك فإن السجن مأساة حقيقية حطمت نفوس أصحابها ولاسيما الشعراء الذين يجدوا في سجونهم إلا الشعر يعبرون من خلاله عن همومهم ومآسيهم.

وبذلك تكاد السنوات الأولى من دخول العرب إلى الأندلس تخلو من شعر السجن والأسرى لاسيما في المرحلة الأولى وبذلك استطاع الأمير الأموي عبد الرحمان الداخل أن يقضي على الكثير من الفتى والاضطرابات هناك قوانين دولة اموية قوية لكن سرعان ما بدأت نار الفتنة تشمل من جديد[2].

[1]- عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص 276.

[2]- رشا عبد الله الخطيب، تجربة السجن في الشعر الأندلسي، رسالة ماجستير، 1996، ص

الفصل الثاني

التأصيل التاريخي للنكبات الأندلسية

- المبحث الأول: التأصيل التاريخي للنكبات الأندلسية
- المبحث الثاني: التأصيل الشعري للنكبات
- المبحث الثالث: دراسة لبعض نماذج شعر النكبات وما حدث

المبحث الأول: التأصيل التاريخي للنكبات الأندلسية

1- تأصيل المؤرخين المسلمين:

نجد الباحث أو الدارس للرثاء في الأندلس طابعا جديدا يحمل في طياته آثار التقلبات السياسية والصراعات والنزاعات عاشت من خلالها الأندلس سلسلة من المآسي والنكبات فتفردوا به عن شعراء المشرق: "وبشكل عام فالأندلسيون لا يختلفون في مراثيهم عن المشارقة، إلا أنهم قد تفردوا في رثاء المدن التي اختلطت دمائهم وأنفاسهم بهوائها وعبروا عن نكبة سكانها وشعورهم بالندم أحيانا، وبالدمع والاستنجاد أحيانا أخرى"[1]، مصورين بذلك نكبتهم وما حل بالأندلس:

حيث يعتبر رثاء المدن والممالك من المراثي السياسية وقد جاءت ثورة هذا الشعر يوم سقوط اشبيلية بيد الإسبان 646م.

ومما قيل فيه رثاء الأندلس ومدنها استقينا مقطوعة قالها الشاعر إبراهيم خلف القريشي منها:

جزيرة الأندلس حسرة ألا غالب من عند من الزمن

وبندب أطلالها اندفا ويرثى من الشعر ما قد وهب[2]

وهب[2]

فقد كانت هذه الأبيات مليئة بالأسى والألم على حال الأندلسيين.

من الشعراء الذين نقلوا لنا المحنة بعبارات مليئة بالمرارة والأسى للشاعر ابن حزم الأندلسي الذي نجده يقول في رثاء الأندلس بألم وحسرة لما حل فيها ويقول وهو يسأل عن حال قرطبة وما آلت إليه مدينته بقوله:

---

[1]- عيسى فوزي سعد، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1991، ص 181.

[2]- ابن الخطيب، الإحاطة بأخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، المكتبة الخانجي، القاهرة، ج2، 1973، ص 366.

السلام على دار رحلنا وغودرت خلاء من الأصل موحشة فقرا
فصيرا ظهر فيها المحكمة وإن كانت عم العبارة مستقل مرا[1]
مرا[1]

كما رثى ابن شهيد فيقول:

ما في الطلول من الأحبة مخير فمن الذي في حالها مستقبل
فلمثل قرطبة بكاء من يبكي عيني دمعها منفجر[2]

أما الشاعر أبي البقاء الرندي الذي قدم لنا صورة الأندلس في قصيدة تثير النفوس، نجده يبكي بصدق على ما أصاب الأندلس والإسلام من ذل وهوان على إثر سقوط المدن الأندلسية تهاوت الواحدة تلو الأخرى مثل بلنسية وشاطبة وجيان وقرطبة، التي كانت بدورها تعتبر قاعدة إسلامية ها هي الآن في أيدي النصارى فيبكيها تارة والنفس تتحسر ويرثيها تارة أخرى والقلب يبكي فيقول:

دهى الجزيرة أمر عزاء له هوى له أحمد وأنهد ثهلان
أصابها العين في الإسلام فامتحنت حتى دخلت منه أنظارنا وبلدان[3]

فمثلا بني الأحمر أصبحت نداءات الشعراء واستغاثتهم تعبر عن مكنون داخلي من القهر والاضطهاد، وخاصة بعد توالي سقوط المدن الأندلسية، وارتباط

[1]- طاهر أحمد مكي: دار ماش الأندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، 1983، ص: 30.

[2]- السيد عبد العزيز بن سالم: في تاريخ وحضارة العرب في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1988، ص 45.

[3]- المقري، نفح الطيب، ج4، ص 487.

سلاطين بني الأحمر[1]، بعلاقات وطيدة مع إخوانهم المغاربة، وبشكل مباشر مع (بني (بني مرين)[2] ارتباط ا دينيا ومصيريا.

ومن خلال تدهور دولة الموحدين[3] وبدأت المدن الأندلسية تتساقط تباعا في في أيدي النصارى، حيث عرف الأندلسيون أن هذه الدولة لا تستطيع نجدتهم، لذا اتجهت أنظارهم إلى الحفصيين[4] بتونس، فخاطبهم ابن الآبار[5] عندما حوصرت بلنسية بلنسية (635هـ)[6]، يدعوهم للعبور والجهاد لإنقاذ المدينة المحاصرة فيقول:

أدرك بخيلك خيل الله أندلسا وإن السيل إلى مناجاتها درسا

وهب لها من عزيز النصر ما التمست فلم يزل منك عن النصر ملتمسا[7]

ملتمسا[7]

---

[1]- **بني الأحمر**: حكمت في القرن السابع هجري والثالث ميلادي عاصمتها غرناطة حيث ضمت ثلاث مدن كبيرة غرناطة، مالقة، مرسية. ينظر: لسان الدين ابن الخطيب، اللحمة البدرية في الدولة النصرية، منشورات الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، سنة 1980، ص 32.

[2]- **بني مرين**: مركزهم بأرض الزاب بجيل أيكجان وسميت بالدولة المرينية نسبة إلى مرين كما تعرف كذلك بالوطاسية 668هـ-1296م، ينظر: عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، سنة 2001، ص 781-782.

[3]- **دولة الموحدين**: قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين 454-543هـ/1062-1148م، يعتبر المهدي محمد ابن تومرت المؤسس الحقيقي للدولة، ينظر: ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر، ج6، ص 229.

[4]- **بني حفص**: ينسب بني حفص إلى الشيخ ابن الحفصي يحي ابن عمرو الصنهاجي أعظم قبائل مصمودة، يعتبر أبو زكرياء ابن يحي التحفصي المؤسس الحقيقي للدولة قامت هذه الأخيرة بالمغرب الأدنى 625هـ-1227م، ينظر: عبد العزيز سالم، المرجع نفسه.

[5]- **بلنسية**: تقع في شرق الأندلس، هي مدينة سهلية وقاعدة من قواعد الأندلس كثير التجارات بها أسواق للتجارة، ينظر: محمد ابن عبد المنعم الحمري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: دكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، سنة 1975، ص97.

[6]- المقري احمد بن محمد، نفح الكيب من غصن الأندلس الرطيب، ج6، ص 215.

[7]- ابن الآبار: أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن القضاعي البلنسي المعروف بابن الآبار119-1260م/ 595هـ-658هـ، مؤرخ وشاعر أندلسي ولد في بلنسية بالأندلس.

ومن المدن التي كافحت غزو النصارى ببسالة وعزم وتصميم على تحقيق النصر اشبيلية، لقد تعرضت المدينة الباسلة لأشرس حملة صليبية شهدها القرن، بمساندة أمير مسلم حارب مع النصارى ضد أمته وشعبه، وبالرغم من ذلك لم يكن ابن الأحمر الوحيد بين الأمراء الذين ساندوا الكفر ضد إخوانهم انتقاما من خصومهم ومع ذلك قاومت اشبيلية وصمدت ثمانية عشر شهرا حتى نفذ الطعام والسلاح ولم تجد بدا من الاستسلام عام 645هـ مقابل حفظ دماء أهلها وحفظ أموالهم وأعراضهم، وخلال تلك المقاومة كتب شاعرها إبراهيم بن سهل الاشبيلي[1] قصيدته لاستنهاض همم المسلمين وفيها يقول:

نادى الجهاد بكم بنصر مضمر بيد لكم بين القنا والضمر

يا معشر العرب الذين توارثوا شيم الحميد كابرا عن أكبر

إن الإله قد استرى أرواحكم بيعوا ويهنيكم وفاء المشترى[2]

لم ييأسس الشعراء ولم تعرف نفوسهم الاستسلام معنى في ذلك انهم يتحملون مسؤولية بلادهم حيث تقع عليهم أمانة كبيرة في التعبير على مجريات الأحداث فهم يحسون بعمق الجرح ولكن يجب ان يتجاوزه ويتساموا فوق الأحزان والأوجاع.

[1]- إبراهيم الأشبيلي: أبو إسحاق إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الاشبيلي 605هـ/1208م - 649هـ/1251م، من أسرة ذات أصول يهودية، شاعر وكاتب ولد في اشبيلية واختلط بمجالس العلم والأدب فيها.

[2]- البستاني بطرس، ديوان ابن سهل الإسرائيلي، مكتبة صادر، بيروت، 1953م، ص 38.

فعندما سقطت بلنسية عام 663 اشتدت موجة الاستنجاد عند الشعراء فقاموا يستنهضون عزائم الملوك لأخذ الثأر يقول ابن الآبار مخاطبا أفريقيا أبي زكريا بن عبد الواحد الحفصي:[1]

نادتك أندلس فلب نداءها واجعل طواغيت الصليب فداءها

صرخت بدعوتك العلية فأجبها من عاطفتك ما يبقى حوباءها[2]

ولم يتوقف الرثاء عند الشعراء خاص بالمماليك والمدن التي أبيدت، ولقد قاموا بنقل لنا الفضائح المأساوية والجرائم التي ارتكبت في حق النساء والأطفال وكذا الشيوخ الذين ذاقوا الأمرين عندما سلبت منهم الأوطان والحرية وقد رثى الشاعر المجهول مدينة رندا وصور لنا الكارثة التي حلت بأهلها وخاصة المسنين منهم، بقوله:

وكم عجوز يحرموا الماء فموها على الذل يطوى ليثها ومصيرها

وشيخ على الإسلام شابت شبوية يمزق عن الباب الوقار فثيرها[3]

بعودتنا لصفحات الماضي نجد مراثي الأندلس التي تمثلت في النكبات والتي أسدل عليها ستار الحزن والحسرة هذه الأخير من سمات الأصالة المنجزة في القصائد الأندلسية التي تدعوا إلى التضحية من أجل الأوطان، التي سلبت من أهلها جراء رياح الدمار والصراع التي آلت للسقوط والزوال والاندثار بين طيات الزمان.

[1]- أبو زكريا يحي بن حفص أو أبو زكريا يحي أو أبو زكريا يحي الأول، أو أبو زكريا الأول، 1203-1249م، مؤسس الدولة الحفصية، وأول ملوكها من 1228 إلى 1249، بدأ حكمه وهو ذو سبع وعشرين سنة هجرية، ورغم سنه إلا أنه أظهر براعة تدل على ما يتمتع به من نضج سياسي مبكر، ومهارة إدارية وكان قد سبق له أن حكم منطقة اشبيلية بالأندلس ثم قامت.

[2]- المقري أحمد بن محمد، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ج6، ص 235-237.

[3]- الزيات عبد الله، رثاء المدن في شعر الأندلس، منشورات جامعة قار يدنس بنغازي، 1990، ص 756.

2- تأصيل المؤرخين النصارى:

كانت اللغة السائدة بالأندلس قبل مقدم المسلمين هي اللغة اللاتينية، وبعد دخول العرب حصل امتزاج بين اللغة العربية واللاتينية نتجت عنه لغة محلية تسمى العجمية أو عجمية الأندلس، وكانت هي اللغة مشترك بين مكونات المجتمع الأندلسي.

فقد وجد النصارى الجو المناسب لقيام حركة ثقافية أسهمت في إثراء الفكر الأندلسي من خلال التفاعل والامتزاج بثقافة العرب وحضارتهم.

حيث توجد إشارات تعود لعصر ملوك الطوائف تفيد بعدم التزام اليهود في الأندلس بلباس خاص يميزهم من المسلمين، بل وأكثر من ذلك تصورهم وهم يلبسون أحسن وأرفع الثياب، ومن المفيد هنا إيراد أبيات أبي إسحاق الألبيري في نونيته الشهيرة يصف فيها أحوال اليهود في غرناطة.

وأنس احتلت بغرناطة فكنت اراهم بها عابثين

وهم يلبسون رفيع الكسا وأنتم لأوضاعها لابسون[1]

وما أورده المقري عن الشاعرة قسمونة بنت إسماعيل اليهودي التي يدل تمكنها من الشعر على وجود نساء يهوديات في الأندلس قد أخذت بنصيب وافر من التعليم، وتدل المعاني التي عبرت عنها في شعرها على بعض صفات المرأة اليهودية في الأندلس، فهي محافظة وترغب بالارتباط برجل، ولكن عن طريق الزواج الشرعي، كما أن زواجها ل يتم إلا بإذن وليها الذي هو والدها إن كان حيا، كما أنها حبية لا تصرح إلى أهلها برغبتها في الزواج، بالرغم من رغبتها فيه وحاجتها إليه، كل ذلك يفهم من الأبيات الشعرية التي أوردها المقري.

[1]- ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا أو كتاب أعمال فيمن بويع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق اليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروتط2، 1956م، ص 232.

ومن المفيد هنا إثبات نص تحدث فيه عن الشاعرة من قسمونة اليهودية بقوله:

"وكانت بالأندلس شاعرة من اليهود يقال لها قسمونة بنت إسماعيل اليهودي، وكان أبوها شاعرا، واعتنى بتأديبها وربما صنع من الموشحة قسما فأتمها هي بقسم آخر، وقال لها أبوها يوما أجيزي:

لي صاحب ذو مهجة قد قابلت نعمى بظلم واستعملت جرمها

فلم تفكر كثيرا وقالت:

كالشمس منها البدرر يقتبس نوره أبدا ويكسف بعد ذلك جرمها

فقام كالمختبل وضمها إليه وجعل يقبل رأسها ويقول: "أنت والعشر كلمات أشعر مني ونظرت في المرآة فرأت جمالها، وقد بلغت أوان التزويج ولم تتزوج، فقالت:

أرى روضة قد حان قطافها ولست أرى جان يمد لها يدا

فوا أسفي يمضي الشباب مضيعا ويبقى الذي ما إن أسمية مفردا

فسمعها أبوها فنظر في تزويجها، وقالت في ظبية عندها:

يا ظبية ترعى بروض دائما إني حكيتك في التوحس والحور

أمسى كلانا مفردا عن صاحب فلنصطبر أبدا على حكم القدر[1]

ولقد كان احتفال اليهود بيوم السبت أمرا شائعا في الأندلس، كما نجد ذكره لدى بعض الشعراء المسلمين، فقد ذكر ابن بسام ذلك في معرض كلامه عن المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس حيث قال: "وله وقد ارتقب قدوم أخيه عليه من شنترين يوم الجمعة فوفد عليه يوم السبت:

تخيرت اليهود يوم السبت عيدا وقلنا في العروبة يوم عيد

[1]- المقري، المصدر السابق، ص 530.

فلمـــا أن طلعـــت الســـبت فينـــا أطلعـــت لســـان محـــتج اليهـــود

ومن مليح ما في هذا المعنى:

وحبـــب يـــوم الســـبت عنـــدي أننـــي ينـــــاد منـــــي فيـــــه أحببـــــت

ومـــن أعجـــب الأشـــياء أنـــي مســـلم حنيـف ولكـن خيـر أيـامي السـبت[1]

[1]- ابـن بسـام أوب الحسـن علـى بـن سـالم السـنتريني (ت542هـ/1148م)، الـذخيرة في محاسـن أهـل الجزيـرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج2، 1419هـ/1998م، ص106.

المبحث الثاني: التأصيل الشعري للنكبات

1- شعر النكبات وبداية ظهوره:

تميز الأدب العربي في الأندلس بطابعه الخاص، بالإضافة إلى إيقاعه المؤثر في نفوسنا فهو أدب يمثل الامتداد الطبيعي للحضارة العربية الإسلامية في المغرب تلك الحضارة التي هوت مع انعدام الأمن والاستقرار، ولكن الأدب في الأندلس خاض تجارب كثيرة تعرب عن حياة العرب المسلمين هناك، وخاصة ما تميز به مسلموا الأندلس من خوضهم للعديد من المعارك والفتوحات لكنهم لم يفجعوا كفجيعتهم يوم سقوط الأندلس وانتهاء الإسلام فيها.

ولعل المطلع على تاريخ الأدب الأندلسي لهذه الفترة يلحظ تعدد العوامل التي أدت إلى ظهور هذا النوع من الشعر والتي يمكن حصرها فيما يلي:

2- الصراع بين النصارى والمسلمين:

لقد سقطت العديد من المدن الأندلسية عقب المعارك الطاحنة التي دارت بين المسلمين وعدوهم الغاصب، ذلك العدو الذي كان يهدد وجود المسلمين واستقرارهم على متن الجزيرة حتى تم له في النهاية القضاء عليهم.

وبالرجوع إلى بدايات الوجود العربي الإسلامي في الأندلس منذ عصر الولاة عام 95هـ وانتهاء الخلافة الأموية في الأندلس في أواخر القرن الرابع الهجري، وبالتالي

قيام دول ملوك الطوائف وسقوطها في يد يوسف بن تاشفين[1]، زعيم المرابطين في المغرب نلاحظ أن سقوط أول المدن الأندلسية بيد النصارى عام 478هـ.[2]

أصبح يشكل خطرا على العديد من المدن الإسلامية مما جعل ملوك الطوائف يلتمسون العون من جيرانهم المرابطين إخوانهم في الدين والعقيدة والذين استجابوا كعادتهم لنصر المسلمين ووقعت معركة الزلاقة[3] عام 479هـ، وقد اعتبرت معركة الزلاقة من أيام الأندلس المشهورة ولكنها جعلت المرابطين يطمعون بالسيطرة على الأندلس وخاصة بعد حياة الرفاهية التي كان يحياها ملوك الطوائف بعد هذا الانتصار العظيم، فاستولوا على العديد من القواعد الأندلسية وحكموا الأندلس زهاء نصف قرن[4].

وقد قامت دولة الموحدين على أنقاض دولة المرابطين وفي ظل الموحدين أحرزت الجيوش الإسلامية انتصارا عظيما على النصارى في معركة الأرك[5] عام 593

---

[1]– **يوسف بن تاشفين:** يوسف بن تاشفين بن إبراهيم بن تورقيت بن ورتاقطن بن منصور بن مصالة بن مانية بن ونالي، الصنهاجي الحميري وفي إبراهيم يجتمع مع ابني عمه الأميرين الذين قبله وكتيبة أبو يعقوب، بنوه: أبو بكر سير وإبراهيم وعلي، المولى بعده وأبو الطاهر تميم والمعز. ينظر: مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار عبد القادر زمالة، ط1، 1399هـ-1979م، ص 252-253.

[2]– محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، نهاية وتاريخ العرب المنتصرين، العمر الرابع، ط3، القاهرة، 1966، ص 18.

[3]– **الزلاقة**: هي مكان منبسط تتخلله بعض الأحراش في ضاحية سرقسطة وكانت تسمى السهلة، ويطلق عليها الإسبان اسم ساكر الياس، ويقع هذا السهل إلى الشمال الشرقي من بطليوس على مقربة من حدود البرتغال الحالية. ينظر: المقري أحمد بن محمد: نفح الطيب من غرض الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: د. مريم قائم طويل وآخرين دار الكتب العلمية : بيروت، ج1، ص 420.

[4]–عاصي ميشال: الشعر والبيئة في الأندلس، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1970، ص33.

[5]– **الأرك**: هي محلة صغيرة من أعمال قلعة الرياح، تقع على مسافة أحد عشر كيلومتر في غربي مدينة (شيودال ريال) الحديثة وتقوم فوق ربوة عالية. – ينظر: المقري أحمد بن محمد: نفح الطيب، ج1، ص 423، ج4، ص 90. عنان محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في الأندلس، العصر الثالث، ط1، القاهرة 1961، ص200.

593 وبعد هذا الانتصار العظيم، لم يلبث المسلمون فترة قصيرة حتى تمت هزيمتهم في موقعة العقاب[1].

وكانت هذه المعركة بداية النهاية عند المسلمين يصفها أبو إسحاق الأشبيلي بقوله:

وقاتلـــــه الأرك تطيـــــل فكـــــرا كأنك قد وقعت لدى الحساب

فقلـــت لهـــا أفكـــر فـــي عقـــاب أطلعـــت لســـان محـــتج اليهـــود

فمـــــا أرض أنـــــدلس مقـــــام وقـد دخـل البلا مـن علـى بـاب

ومن أكثر القصائد المعبرة التي قيلت سقوط العديد من المدن الاندلسية وتنبئ بسقوط العديد من المدن الأندلسية.

أبي البقاء الرندي: حيث يقول:

لكـــل شـــيء إذا مـــا تـــم نقصـــان فـــلا يغـــر بطيـــب العـــيش إنســـان

لكـــل شـــيء إذا مـــا تـــم نقصـــان وللزمـــــان مســـــرات وأحـــــزان

دهـــى الجزيـــرة أمـــر لا لاغـــراء لـــه هـــوى لـــه أحـــد واثهـــد ثهـــلان[2]

لقد ندب أبو البقاء نفسه عن أهل الأندلس من هول المصيبة وكثرة الفجائع التي حلت والمصيبة العظيمة التي دهت الأندلس أمر يجل عن العزاء فيه.

فشعر الفخر القبلي قد اتصل بالسياسة منذ العصر الجاهلي أو منذ وجود القبلية العربية التي هي الصورة المصغرة للدولة.[3]كانت المصيبة التي حلت بالمسلمين الأندلسيين عظيمة وأشدها إيلاما سقوط آخر منهم بيد النصارى، وأذاقتهم ألوان

[1]- المقري، أحمد بن محمد: نفح الطيب، ج6، ص 222.

[2]- المصدر نفسه، ج06، ص 223.

[3]- الشايب أحمد: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966، ص 25.

الذل والهوان مقابل تسليمهم المدينة التي أرغموا على تسليمها حفاظا على أرواحهم وأولادهم، وتبدي الأبيات العديد من الشروط التي تمت في المعاهدة كمحافظة المسلمين على هويتهم الدينية، وتأديتهم لشعائرهم بكل حرية، مع حرية التنقل ممن الأندلس وخارجها وغيرها من الشروط التي وردت في الأبيات السابقة والتي كانت بمثابة الوثيقة التي سلمت على إثرها غرناطة، ولكن النصارى كانوا من الغادرين لوعودهم نقضوا عهدهم للمسلمين وأجبروهم على التنصر أو الرحيل، فكانت فاجعة عظيمة ابتلي بها المسلمون عزهم وسلطانهم وقد عبر عنها ووصفها أبن الدقون بقوله:

أمنت من عكس آمال وأحوال وعست ما بين أعمام وأخوال
وابتليت بما في القلب من نكد فالجسم مشتعل من غير إشعال
وكيف لا وبقاع الدين خالية من أرض أندلس من أجل أهوال
وارحل ببخلك نحو الغرب في كرم من قبل وضعك في قيد وأغلال[1]

- **الفتن والحروب الداخلية:**

لقد تميز عصر بني الأحمر من الناحية السياسية أنه أسوأ عصر حظي به المسلمون بالأندلس، ففيه كثرت الفتن والانقلابات وفيه صراع ضار على الحكم بين سلاطين بني الأحمر، أدى ببعضهم في سبيل تحقيق مطامعه الشخصية وانتصاره على منافسه، الى موالاة أعداء أمته وملته.

حيث نشأة أولى الثورات والفتن التي عملت على انهاك قوى النضال والدفاع عن الأراضي المقدسة، في عهد الأمير محمد النصر (بالمخلوع) عام 701م.

وقد استمرت تلك الفتن والثورات على أشكال مختلفة ومتشابهة إلى آخر حكم بني نصر، وقد تطورت الفتنة بثورة كبار رجال الدولة حيث قتل فيها الوزير (ابن

[1]- المقري، أحمد بن محمد، أخبار الرياض في أخبار عياض، ج، ص 104.

الحكيم) ووزير محمد المخلوع، ونادوا بحكم أخيه أبي الجيوش نصر مكانه، ثم انتقل محمد المخلوع معتقلا إلى المنكب ووصف الخطيب محنته في قوله:

بكتك بلاد كنت تحمي ثغورها بعزم أصيل أو برأي مسدد

كأنك ما قدت الجيوش إلى العدا فصيرتهم نهب القنا المتقصد

وفتحت من أقطارهم كل ميهم فتحت بها باب النعيم المخلد.[1]

3- دراسة مقارنة بينه وبين شعر الرثاء:

ويقال له التأبين أيضا، وإذا كان المدح هو الثناء على الشخص في حياته فإن الرثاء التأبين هو لثناء على الشخص بعد موته، وتعداد مآثره والتعبير عن الفجيعة الشعراء، وشعر الرثاء إنما يقال وفاء، والشاعر يقضي بقوله حقوقا سلفت، وبيدي من التفجع والحسرة والأسى والاستعظام ما يدل على حجم المأساة التي حلت عليه، فيذكر صفات المرثي مبللة بالدموع[2].

وباعتبار المرثي هو الأساس فيه، فإننا نجد ظهور نوع جديد من الرثاء قد ظهر في العصر الأندلسي وقد ازدهر في بني الأحمر وهو رثاء المدن فالحبيب الذي فقد هنا هو الوطن، وهذا جاء بسبب تفرق المسلمين وضياع كلمتهم وتراجع بداياته منذ سقوط مدينة طليطلة، وهي اولى مدينة يستعيدها النصارى سنة 478هـ[3].

والأندلسيون لا يختلفون في مراثيهم عن المشاقة في الرثاء الميت والتفجع عليه يبدأ أنهم تفوقوا رثاء الممالك البائدة لما في نفوسهم محبة.

---

[1]- ابن الخطيب، لسان الدين، اللمحة البدرية، ص 56.

[2]- أيمن يوسف إبراهيم جرار، الحركة الشعرية في الأندلس (عصر بني الأحمر)، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، ص93.

[3]- ابن الخطيب، لسان الدين، عمره، بيئته، وحياته ومآثره، بيروت دار الكتب العلمية، 1994، ص 17.

فكان ياسفهم أن يروا بلادهم تسقط بلدا تلوى الآخر في أيدي الغرباء حيث يعتبر رثاء المدن من المراثي السياسية، ولهذا الشعر لونان أو اتجاهان الاتجاه الأول يقف عند البكاء والاستنجاد فيعتبر ذا وجه انهزامية مما يدل على كل ما هو سلبي.

غير أن الاتجاه الثاني تمثل في حث الشعب الأندلسي على المقاومة العدوان لأنهم رأوا في المأساة قضاء على الكثير من خلال المذابح والأوضاع التي حلت بهم ولأرضهم التي أحبوها.[1]

ونرى ان البكاء جاء مصحوبا بدعوات الاستنجاد المزدوجة بالعتاب والتوبيخ لمن يرى حال الأندلس ولكنه يبقى ساكنا دون حراك ولعله قصد في هذا ملوك المغرب من بني مرين، فهو يدعوهم لنصرة إخوانهم في الدين يقول:

ماذا التقاطع في الإسلام بينكم وأنتم يا عباد الله اخوان

ألا نفوس أبيات لها همم أما على الخير أنصار وأعوان[2]

ومن خلال الأبيات لقد استطاع الشاعر أن يبين هزيمة المسلمين وتخلص من تفرقتهم وفي نفس الوقت نجيد لهم على الحلول المناسبة والتي تكمن في الوحدة الاسلامية.

ومن خلال هذا نجد محاولة الشعراء في مراثيهم أن يشيروا في نفوسهم العاطفة الدينية عند عامة الشعب، فهي تجمع المسلمين باختلاف عروقهم عن العرب والبربر وغيرهم، حيث نجد تكرار صورة المساجد من خلال تحويل المساجد إلى كنائس، ومنهم من أراد أن يعطي صورة مؤثرة والتي تدل على حجم المأساة التى حلتب

[1]- الطويل يوسف، مدخل إلى الأدب الأندلسي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1991، ص 206.

[2]- المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج5، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت، ص 374.

بالمسلمين ويريدون ان يظهروا للمسلمين مدى حقد الاسبانمن خلال البلاد التي سيطرو عليها من خلال إدخال الخمر والخنزير إليها.

يقول عمر بن مرابط:

كم جامع أعيد كنيسة فاهلك عليه اسى فلا تتجلد
القس والناموس فوق منارة والخمر والخنزير وسط المسجد[1]
المسجد[1]

وما نستخلصه من قوله أن الحرب التي دارت في تلك البلاد كانت حربا أساسها الدين وخير دليل على هذا القول، ما فعله الإسبان بالمسلمين بعد السقوط.[2]
السقوط.[2]

أما رثاء المدن، فنجده يسير ضمن الإطار التقليدي الذي سار عند المشارقة فهو لا يأتي بشيء جديد على لا نحو ما حصل في رثاء المدن، فنرى رثاء الأصحاب والملوك والأبناء والملوك وغير ذلك وعن رثاء الأبناء نجد رثاء محمد بن عمر بن رشيد الفهري لوفاة ابنه بغرناطة ونجد من خلال رثائه الحزن الذي كان فيه فيقول:

شباب نوى ثابت عليه المفارق وغض ذوى تاقت إليه الحدائق
على حين راق الناظرين يسوقه رمنه سهام للعيون رواشق[3]

- **شعر الرثاء:**

[1]- أيمن يوسف إبراهيم جرار، الحركة الشعرية في الأندلس جامعة النجاح الوطنية فلسكين، د.ت، د.ط، ص 95.

[2]- المرجع نفسه، ص 95

[3]- ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3، ص 105.

ظهر شعر الرثاء من خلال الموضوعات التي تناولها ابن اللبانة في شعره نظمها إلى بني عباد حينما أودع المعتمد سيجون أعمت بأفريقيا، أخذ بعض الشعراء ينبذون العز الزائل والمجد الراحل ومنهم ابن اللبانة، وقد أفاض ينظم أشعاره وله قصيدة في التفجع على مصير آل عباد ورثاء أيامهم منها:[1]

تبكي السماء بدمع رائح غادي على البهاليل من أبناء عباد
على الجبال التي هدت قواعدها وكانت الأرض من تحت أوتاد
وكعبة كانت الآمال تعمرها فاليوم لا عاكف فيها ولا باد
يا ضيف أقفر بيت المكرمات فخذ في ضيم رحلك وأجمع فضيلة الزاد
وأنت يا فارس الخيل التي جعلت تختال في عد منهم وأعداد
ألق السلاح وحل المشرقين فقد أصبحت في لهواة الضعن العادي

ولقد وقف ابن اللبانة على قبر المعتمد ابن عباد وانشد بصوت عال:[2]

ملك الملوك أسلع فأنادي أم قد قداك عن الجواب عوادي
لما خلت منك تال قصور ولم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد
فتمثلت في هذا القرى لك خاضعا واتخذت قبرك موضع الإنشاد

وما نراه من خلال هذه الأبيات الألم الذي أصاب بني عباد جملة، وحيث وصف خلو اشبيلية والأندلس منهم وكذلك هزيمة المعتمد، مرورا بوصفه لما أصاب العباسيين من مآس ونكبات.[3]

4- دراسة وصفية لشعر النكبات

[1]- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت، ص156.
[2]- المصدر نفسه، ص 177.
[3]- عوض محمد أسعد الدوري، ابن اللبانة الأندلسي، جامعة تكريت، كلية التربية سامراء، مج 3، ع7، ص 41.

تعد موضوعات البعد العام من أهم الموضوعات التي نظم فيها الشعراء في الأندلس وتمتاز هذه الموضوعات بأنها تمس المحيط الخارجي لشاعر وليس ذاته ولما كان الإنسان كائنا يعيش في مجتمعه ويتفاعل مع أحداثه المختلفة فلا بد أن تكون له مواقف اتجاه بعض قضايا المجتمع وهمومه إضافة إلى أنبائه، لذا فقد تفاعل الشاعر معها وعبر عن ذلك من خلال أشعار تعالج بعدا عاما تحدده علاقة الشاعر مع من حوله ومن أكثر موضوعات التي لها بعد عام المديح والشعر الحربي وشعر الطبيعة وغيرهم وقد كان لأحداث الاندلس من فتن بربرية في مطلع القرن الخامس هجري وازدياد الخطر الاسباني على الوجود الإسلامي فقد نتج عنها حروب ومعارك تناولها الشعراء البيوتات في أشعارهم لاسيما الشعر المديح السياسي والشعر الحربي فمثلا نجد:

1- شعر المديح السياسي:

لقد ازدهر شعر المديح السياسي في الأندلس في القرن الخامس هجري ازدهارا كبيرا حيث أصبح تجارة رائجة ويشير إلى ذلك شقوندي في قوله: "ولم تزل الشعراء تتهاذى بينهم تهاذي النواسم بني الرياض، وتفتك في أموالهم فترى البراهين، حتى إن أحد شعرائهم بلغ بهما رآه من منافستهم الأمراء في أمداحه حتى حلف ألا يمدح أحدا إلا بمائة دينار".[1]

ولعل ذلك يعود إلى حاجة أمراء ملوك الطوائف إلى الشعراء، يتغنون بمحاسنهم وينشرون فضائلهم ومناقبهم بين الناس، ويخلعون عن حكمهم الشرعية الدينية والسياسية.[2]

[1]- المقري، النفح الرطيب، ج03، ص 190.

[2]- بهجت منجد مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ص 354-355.

- **الجهاد ضد الأعداء:**

لقد نالت الحروب والمعارك التي خاضها أمراء الطوائف مكانة عند أشعار الشعراء، فمدحوا هذه الاتتصارات وأصحابها ومن هؤلاء نجد ابن دراج القسطلي الذي مدح المنصور منذر بن يحي وابنه المظفر يحي، وسجل انتصارهما على النصارى المجاورين لإمارة سرقسطة، ومن ذلك قوله في قصيدة عينية، يهنئ فيها المنصور بجهاده في شهر رمضان، وظفره بأعدائه يقول:[1]

حتى جدعت أنوف الشرك قاطبة بأنف معقل كن أنت جادعه

وفي قصيدة أخرى يمدح فيها خروجه من نبنبلونة:[2]

سعى شفي بالمنى قبل انتها أمده ويوم سعد أرانا الفتح قبل غده

داع إلى دعوة الإسلام يصرها فأي معتمد من شأو معتمده

مجهزا في سبيل الله جيش هدى السمع والطوع للمنصور من عدده

وآب منصور قحطان بعزته أوبا تدوب ملوك الأرض من حسده

الشعر الحربي:

لقد شهدت فترة ملوك الطوائف في الأندلس اضطرابات سياسية كبيرة فقد اشتدت فيها الخلافات بين أمراء الطوائف الذين طمع كل واحد منهم في توسيع حدود إمارته على حساب جيرانه، ولعل هذه الخلافات كانت نتيجة طبيعية للفتنة التي شهدتها الأندلس مطلع القرن الخامس هجري، وأدت إلى انتهاء حكم بني أمية وخلافتهم، وانقسام الأندلس إلى دويلات متصارعة.

[1]- ابن الدراج القسكلي، أبو عمر أحمد بن محمد بن العاص (ت 421هـ/1030م)، 1961م، الديوان، حققه وعلق عليه وقدم له محمود مكي، ط1، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق، ص142.

[2]- ابن الدراج، المصدر نفسه، ص 145-150.

هنا نجد أنواع الشعر الذي كان في الأندلس خلال هذه الفترة التي كانوا من خلالها يصفون الحروب والمآسي التي كانت تمر بها الأندلس والتي أثرت فيهم في كل مرحلة.

المبحث الثالث: دراسة لبعض نماذج شعر النكبات وما حدث

إن المؤرخين حين يتحدثون على واقع نكبة بريشتر وطليطلة فإنما يكتبون الوقائع وعليها ثوب من رؤيتهم وتحليلهم لها.

ولا ننسى أن المؤرخ بشر يناله النقص والخطأ وعدم الاستعاب ولئن كان تاريخنا الإسلامي قد تميز بوجود مؤرخين لا يترددون في أن يذكروا للشخصية العظيمة مثال بها، وأيضا يذكرون للشخصية السيئة محاسنها فإن هؤلاء المؤرخين أيضا ما زالوا بشرا تؤثر صياغاتهم ومواقفهم وميلوهم على التحليل والتفسير للوقائع التاريخية.[1]

1- نكبة بريشتر:

تقع بريشتر barbastro على بعد 60 كلم شمال شرق سرقسطة (الثغر الأعلى في بلاد الأندلس)، على فرع صغير من أفرع نهر إبره، بين مدينتي لاردة ووشعته، وبريشتر إحدى القواعد الأندلسية المنيعة، وأمنع قلاع الأندلس قاطبة، وكانت ذات موقع استراتيجي هام لقربها من الحدود مع الممالك الاسبانية النصرانية في شمال شرق الأندلس وهي ممالك قطلونية ونافار أو نبرة وقشتالة، لذلك فهي في جهاد دائم، إذ لم يكن النصارى عن هجماتهم على بلاد الإسلام في الأندلس منذ الفتح الإسلامي لها أيام موسى بن نصير وطارق بن زياد.[2]

وصفها الحميري بقوله: "بريشتر من أمهات مدن الثغر الفائقة في الحصانة والامتناع"، وقال ياقوت الحموي: "بريشتر بضم الياء الثانية وسكون الشين المعجمة، وفتح التاء المثناة من فوق.

[1]- ابن أبي أصبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تح: محمد باسل، عيون السور، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1، ص 494.

[2]- ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، دار صادر 1993، ص 370-371. الحميري: صفة جزيرة الأندلس، تح: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988، ص 39.

" مدينة عظيمة في شرقي الأندلس من أعمال بريطانية ... ولها حصون كثيرة، منها حصن القصر وحصن الباكة وحصن قصر مينوقش وغير ذلك"

حيث تعد مدينة بريشتر إحدى أعمال مملكة سرقسطة التي كانت في عصر ملوك الطوائف تحت حكم بنو هود 431هـ/ سبتمبر 1039م-512هـ/ديسمبر 1118م، والتي تعد من أخطر وأهم الممالك الإسلامية في بلاد الأندلس ومن أعمالها وشتة huesca، ولاردة lareda.

وحيث تعتبر واقعة بريشتر سنة 456هـ "أول حملة صليبية على الأندلس الإسلامية، وذلك على إثر الحملات الصليبية المبكرة التي كانت تستهدف كبريات المدن الأندلسية[1]، كما أنها تعد أول هزيمة تلقاها المسلمون بعد أن تمزقت وحدتهم في في الأندلس".

حيث من خلالها تعالت أصوات الشعراء فنجد الفقيه الزاهد عبد الله بن فرج اليحصبي المكنى بابن عسال يتحدث عن مأساة بريشتر فيقول:

ولقد رمانا المشركون بأسهم لم تخط لكن شأنها الاصماء

هتكوا بخيلهم قصور حريمها لم يق لا جبل ولا بطحاء

جاسوا خلال ديارهم فلهم بها في كل يوم غارة شعواء

باتت قلوب المسلمين برعبهم فحماتنا في جوبهم حيناء[2]

[1]- ياقوت الحموي، معجم البلدان، المرجع السابق، ص 372.

[2]- الحميري، الروض المعطار، ص 40-41.

فنجد وصف لقسوة الأعداء في حملتهم على بريشتر وتكالبهم من أجل الفتك بالمسلمين الذين لم يتحركوا لنجدتها، فهم يصفهم جبناء ويخافون مواجهة العدو.

كما نجد ابن بسام في هذه الفاجعة يقول: "... عداة الله كانوا يومئذ يتولعون بهتك أسراهم وبناتهم بحضرتهم وعلى أعينهم إبلاغا في تعذيب قلوبهم يغشون البيت، ويقتضون البكر، وزوج تلك وأبو هذه موثق يقيد أسراه ناظر إلى سحنه عينه، فعينه تدمع ونفسه تقطع".

وبعدها بذكر ابن العسال أن ما أصاب المسلمين في هذه المحنة، ما هو إلا نتيجة طبيعية للفرقة والخلاف وتفاقم الذنوب، فهم يشربون الخمر مجاهرة ويمارسون الرذيلة دون احتشام فقح عليهم العذاب:[1]

المسلمين وأنهم ركبوا الكبائر مالهن خفاء

ما كان بصر للنصارى فارس أبدا عليهم فالذنوب الداء

فشرارهم لا يختفون بشرهم وصلاح متحلي الصلاح رياء

وكأنه يطلب من الحكام والمحكومين على السواء التمسك بالدين والرجوع إلى القيم والأخلاق التي يعلو بها الإنسان، فيلقى نصر الله.

وهكذا صورت لنا هذه الأشعار والمراسلات الأجرح والأثر العميق الذي تركته نكبة بريشتر في أوساط المجتمع الأندلسي، ولعلها أول محنة حركت المشاعر ولم تجد مع الأسف نصرا.

[1]- المصدر نفسه، ص 91.

2- نكبة طليطلة:

كانت طليطلة من أجل المدن الإسلامية وأعظمها خطرا[1]. ومن أكبر بلاد الأندلس وأحصنها[2]، حكمها من الطوائف بنو ذي النون الهواري، وأولهم الأمير إسماعيل عام 420هـ، ثم تملك المأمون بعد أبيه عام 435هـ[3]، فعكف على اللذات اللذات والخلاعة، وصادر الرعية، فطمعت فيه الفرنجة بل في الأندلس، وأخذت عدة حصون، وكان قد استعان بهم على تملك مدائن الأندلس، وغدر به ملكهم وأخذه رهينة حتى أعطاه ما طلب من الحصون.

وقرر عليه مالا كل سنة وعاد ذليلا مخذولا وذلك بما قدمت يداه، إلى أن توفي عام 460هـ، حيث خلفه القادر بن يحي في الحكم[4].

الذي لجأ بدوره إلى بلاط ألفونسو السادس. وأقام فيه تسعة شهور حيث تلقى المجاملات والإكرام الزائد إلى أن غادرها حاكما للنصارى.

بعد أن ارتبط بين ذي النون بروابط الصداقة وأعطى العهود والمواثيق.

استمر ألفونسو في غاراته على أراضي طليطلة دون أن يجد من يردعه وبعد أن أنهكها الحصار، إذ استمر في حصارها سبع سنوات.[5]

---

[1]- ياقوت الحموي، مجمع البلدان، ج4، ص 40.

[2]- ابن الكثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص 138.

[3]- الذهبي: سر أعلام النبلاء، ج18، بيت الأفكار، د.ط، د.ت، ص 221.

[4]- ابن الخطيب، أعمال الأعلام في بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، 1956، ص 330.

[5]- المقري، المصدر السابق، ص 353.

ولقد كان سقوط طليطلة صدمة كبرى أصابت المسلمين في الأندلس إلى ما لبث أن ترجم إلى حقيقة مريرة والتي عبر عنه الشاعر عبد الله بن فرج اليحصبي المشهور تعبيرا مثقلا بالشؤم متنبئا بغروب شمس الأندلس، ومنطقه يكمن في هذه الأبيات المخيفة، أو بالأحرى التي كانت مخيفة لمن سمعها من معاصريه:[1]

يا أهل الأندلس، حنو مطيكم فما مقام بها إلا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وارى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سقط[2]
سقط[2]

ويورد المقري في رثاء طليطلة قصيدة من عيون الشعر لم يذكر قائلها، تزيد عن سبعين بيتا ضمنها الشاعر كل أحاسيسه بالحسرة، فضمن أبياتها الدعوة الى الاستنفار والنخوة والتقريع والتركيز على وضع الكارثة في حجمها الحقيقي، وإظهار المهانة التي لحقت بالمسلمين لسقوطها، فقد كانت من المنعة والتحصين بحيث يستحيل سقوطها، الأمر الذي اضطر العدو إلى حصارها سبع سنين طوال.[3]

يقول الشاعر المجهول:

لثكلك كيف تبتسم الثغور سرورا بعدما بئست ثغور
أما وأبي مصاب هد منه ثبير الدين فاتصل البثور
لقد قصمت ظهور حين قالوا أمير الكافرين له ظهور
ترى في الدهر مسرورا يعيش مضى عنا لطبيته السرور

[1]- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ط10، د ن، دب، 2000، ص 53.
[2]- المقري، المصدر السابق، ج6، ص 121.
[3]- مصطفى الشكعة، المرجع السابق، ص 514.

أليس بها أبي النفس شهم يدير على الدوائر إذ تدور[1]

لقد خضعت رقاب كن غلبا وزال عتوها ومضى النفور

وهان على عزيز القوم ذل وسامح في الحريم فن غيور

طليطلة أباح الكفر منها حماها إن ذا نبإ كبير

فليس مثلها إيوان كسرى ولا منها الخورنف والسديد

محصنة محسنة بعيد تناولها ومطلبها عسير

ويمضي الشاعر مستنكرا سقوط المدينة الحصينة متعطفا على المشاعر الدينية مظهرا ما اصاب المدينة من تحول ديني، فبعد أن كانت دار إسلام تحولت إلى دار نصرانية.

وأما مساجدها فقد صارت كنائس بين عشية وضحاها، وأما أهلها فقد صاروا بلا مأوى مشردين.

ألم تك معقلا للدين صعبا فدا الله كما شاء القدير

وأخرج أهلها منها جميعا فصاروا حيث شاء بهم مصير

وكانت دار إيمان وعلم معالمها التي تطمس تنير

فعادت دار كفر مصطفاه قد اضطرت بأهليها الأمور

مساجدها كنائس أي قلب على هذا يقر ولا يطير[2]

نجد أن مدينة طليطلة كسابقاتها تعرضت للغزو من قبل المستعمر كما كانت من غدر أصحابها ولذلك تحول الناس إلى أشخاص جشعين محبين للمال والملذات ما جعلهم يبتعدون عن شؤون الدولة السياسية منها والثقافية والاجتماعية مما زاد الوضع سوءا وهكذا انتهت طليطلة.

[1]- المقري، المصدر السابق، ج6، ص 02.

[2]- مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه، ص10، ص516.

الفصل الثالث

شعر أبي بقاء الرندي والنكبات الأندلسية

نبذة عن حياة الشاعر أبي البقاء الرندي:

هو صالح بن أبي الحسن بن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف النغزي من أهل رندة، ويكنى أبا الطيب.

وهو مشهور في الشرق وخصوصا في هذا العصر بأبي البقاء وهو اديب وشاعر وناقد قضى معظم أيامه في مدينة رندة، وقد اختلفت المصادر في كنيته فهو تارة أبو الطيب وتارة أخرى أبو محمد وكناه المغربي بأبي البقاء في المشرق والمغرب جاءت بعد المقري الذي ذكر تلك الكنية مرة واحدة في كتابه ويرجع أن أبا الطيب كان الأسطر في زمانه[1].

مولده ووفاته:

ولد في محرم سنة إحدى وست مائة توفي عام أربعة وثمانين وست مائة والمولود في مدينة رندة، بجنوب الأندلس سنة 601هـ والموفي 684م ويبدو أن شاعرنا قد عاش في القرن السابع الهجري وقد تفردت المخطوطة التونسية بذكر تاريخ ولادته ووفاته حيث جاء أنه ولد في محرم سنة احدى وستمائة وانه توفي سنة اربع وثمانين وستمائة ولد سنة 603هـ/1204م، هو من أهل رندة الواقعة في الجزيرة الخضراء بين مالقة وشريش وتردد على قرطمية عدة مرات وأقام فترة من الزمن في مالقة وتوفي سنة 674هـ/1275م[2].

ومن خلال تصفحنا نجد أن أخبار الرندي ومما نجده في كتبه صورة واضحة تقريبا لأخلاقه ودينه في عصره وعلاقاته بمعاصريه واتجاهاته، وكانت الأوصاف التي

[1]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص 45.

[2]- محمد العريس، موسوعة شعراء العصر الأندلسي، دار يوسف للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص 202.

اتبعها عليه ابن الزبير وابن عبد الملك المراكشي وابن الخطيب كافية لإعطائه صورة الأديب الفقيه الشاعر ذي المكانة المرموقة في عصره، ففي ترجمة ابن الزبير له أنه كان بالجملة معدود في أهل الخير وذوي الفضل والدين، وقد كان الرندي ممن يستطيع أن يحسن الصلة بينه وبين أهل الفكر وأصحاب الدولة من الأمراء والحكام والوزراء المنتقدين ومن كان في ساحتهم وساعده علمه وشاعريته على تقريبهم له واستثنائهم من شعره وهو جمع إلى هذه الصفات الخلقية والطيب ورعا وتدينا ومراقبة تشهد بها تراجمه.

ومن شعره في غرض التوحيد قوله:

ما بالنا نغتر بالأذهان ونغرها بمطالب البرهان

ومن المحال تصور الإنسان ما منعته قوة عال الإنسان[1]

حيث كان حافظا للحديث وفيقها ومشاركا في الحساب، ثم بارعا في منظوم الكلام ومنشورة مجيدا في المدح والغزل خاصة والزهد والوصف.

الأغراض الشعرية:

كانت الحركة الشعرية في القرن السابه الهجري استمرار لما كان في القرن السابق عليه من النشاط أو غزارة الإنتاج، وكثرت الشعراء وعلى الطبقة واتسم الشعر بالتحسن القوي والأفق المشرف فهو لم ينحدر انحدارا مماثلا لضعف الأحوال العامة في البلاد، وكان ما يزال في الأندلس في أول القرن وبعد استقرار الأمور لابن الأحمر في غرناطة من يقدر الشعر ويثبت عليه ويشجع أصحابه، وبعد أن استقرت الأمور في

[1]- أبو بقاء الرندي، ديوان أبو بقاء الرندي، تح: رفعت برهام حسن، ط1، د ن، القاهرة، دت، ص 62.

غرناطة وما حازوه في الأندلس فيي نطاقها اتخذوا لأنفسهم رسوم الملك واجهة السلطان واتخذوا الكتاب والحجاب والوزراء[1].

ولا نجد بين أيدينا من باقي شعره ما يدل على اتصاله في مرحلة شبابه الأولى ببعض الأمراء من الموحدين ومدعي الخلافة ومتخليها أو ببعض الثوار والمنتزين في أرجاء الأندلس عامة أو في رندة خاصة.

ويبرز الرندي في ظلال بني الأحمر شاعر بلاط مداحا ذا صلة وثيقة بالدولة الفتية وأمرائها المحبين للشعر.

وهو شاعر مكثر غزير الإنتاج سهل العطاء حاضر البيهة وقد كان شعره مدونا ولكننا لا نعرف إلى الآن في المكتبات المشهورة ديوان شعر له وجوانب شعره متعددة.

ومن أبرز أغراضه الشعرية:

- المدح.
- الغزل.
- الوصف.
- الرثاء.
- أغراض أخرى منها الحكمة والهجاء، والتوحيد والشوق إلى أبنائه.

اجتمع النقاد بأن اللغة هي أداة الشاعر فمن خلالها يقوم بتشكيل معجمه الخاص مرتبطا بتجاربه ورؤيته للحياة، وبذلك تبرز لنا طاقات اللغة ونتوسع دلالاتها ومفاهيمها وكما قيل بأن اللغة كنز الشاعر ومصدر شاعريته ووحيه وأبو البقاء الرندي في معجمه اللغوي الشعري يختار الألفاظ السهلة السيرة ذات دلالات مفهومة وعند

[1]- يوسف عطاء الطريقي، شعراء العرب (المغرب والأندلس)، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية، عمان، 2008، ص 202.

البحث في معجم وجدت استخدام ألفاظا شاعت في شعره ومنها (ألفاظ الحزن وألفاظ الطبيعة). وهذه الألفاظ التي استخدمها الشاعر للتعبير عن شاعريته في جميع الأغراض الشعرية قد كونت صورة بلاغية فنية رائعة في شعر الشاعر تستحق الدراسة والبحث، لأن الصورة الشعرية البلاغية والفنية في من أدوات الشاعر المعبرة عن المشاعر والأفكار، فهي الجوهر الثابت والدائم في الشعر والموسيقى الشعرية يستعين بها الشاعر لأنها تجعله أكثر تأثيرا في النفس والتصاقا بالذهن وهي عنصر مهم في الشعر فيها يستطيع الشاعر أن يعبر عن الأحاسيس وأحبت أن أسلط الضوء على لغة الشاعر والصورة الشعرية والموسيقى الشعرية بنوعية الداخلية وتشمل الوزن والقافية والخارجية وتشمل التكرار والطباق والجناس ورد العجز على الصدر.

ونجد أن الشاعر في هذه الأبيات يحاول محاورة قلوب عشاقة ومخاطبة سلطان الغرام مما يجعله ينجح نحو تزويق ألفاظه وتعميقا للسيطرة على هذه القلوب:

بعين شكواي الغرام ونيهة إلى أن تثنى عطفه فانى عطقا

فعانقته شوقا وقبلته حوى ولا قبلته تكف ولا لوعة تطرف[1]

ونلاحظ أن شاعرنا يميل إلى الجزالة والرصانة والاستعانة بالمفردات المعجمية لكي يعطف الألفاظ القوة ويكسبها رونقا وجملا من ذلك قوله يمدح أحد الأمراء:

وملء العين منك جلال مولى صنائعه كفرته وسام

إذا ما قبل في يده غمام فقد بخست وقد خدع الغمام

وحشر الدرع أروع غالي يراع بذكره الجيش اللهام[2]

[1]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص 93.

[2]- أبو بقاء الرندي، المصدر السابق، ص 32.

فالألفاظ كلها ألفاظ تمتاز بالجزالة والقوة وهي تدل دلالة واضحة على عدم الممدوح وشجاعته وسطوته ويستخدم الشاعر قسما من ألفاظ الحزن في شعره يهدف إشارة عواطف المسلمين لإنقاذ ما يمكن اتخاذه من ديار الأهل والأحبة وهذا ما يظهر حرصة وحبه لوطنه يقول في رثاء الأندلس:

أعندكم نبأ من أهل أندلس فقد سوى حديث العزم ركبان

كم يستغيثوا وهم أسرى وقتلى فما يهتز اسنان[1]

ثانيا: الصورة الشعرية

تعد الصورة الشعرية من أهم أدوات الشاعر المعبرة عن المشاعر والأفكار فهي الجوهر الثابت والدائم في الشهر وهي ليست مفهوما حديثا فقد عرفها النقاد العرب قيدما ومنهم الجاحظ (ت255هـ) إذ أشار بقوله: "إنما الشعر صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير".

ويعرفها أحمد النقاد المحدثين بأنها: "رسم قوامه الكلمات المشحونة بالإحساس والعاطفة".

فالصورة عنصر مهم بناء القصيدة ذات الوظيفة الشعرية التي تجسد الشاعر وأحاسيسه فهي: "الوسيلة الفنية والجوهرية لنقل التجربة".

وأصبحت تمثل وسيلة الأديب في التعبير عن عالمه الخيالي بمختلف مصادره اللخيالية والواقعية والعقلية لذا لجأ إليها الشعراء ليعبروا بها عن تجارتهم الشعورية بأمانة ودقة وهناك عناصر لصورة الشعرية يجب أن نتوفر فيها لتحظى بقبول المتلقي

[1]- أبو بقاء الرندي، المصدر السابق، ص 53.

واستحسانه مثل: التخيل، والعاطفة وغيرها من العناصر الأخرى[1] واستخدم شاعرنا كثيرا من الأساليب البلاغية في شعره وقد أخذ نماذج منها وهي: التشبيه الاستعارة، الكناية.

الموسيقى الشعرية:

تمثل الموسيقى الشعرية عنصرا مهما من عناصر تشكيل البيت الشعري إذ أنها تسهم مع الأفكار والألفاظ والصور في الارتقاء بأسلوب التعبير الشعري إلى مرتبة عالية ويلعب الوزن دورا فعالا في التأثير بهذه الموسيقى عن طريق الكلمات التي تثير الانتباه إلى هذه الأصوات فضلا عن القافية ذات الإيقاع الجميل التي تتفاعل مع بعض الفنون البديعية كالجناس والطباق...الخ، وقد دخلت الموسيقى عاملا مهما في قوة الشعر والطباق...الخ، وقد دخلت الموسيقى عاملا مهما لموسيقاه النهوض وتتأثر بها القلوب"[2].

وتشكلت الموسيقى عنصر فعال مال إليه الرندي وحرص على توفيره في شعره وأوزانه الشعرية مطابقة لأوزان الخليل أبي أحمد الفراهيدي (ت185هـ) فجاءت متناسقة وذات معاني لها دلالات وتأثير واضح في نفس السامع وكان الميل إلى الفنون البديعية من أبرز سمات الفن الشعري في عصره وقد تميز أسلوبه بالولع والصنعة البديعية وقد اعتمد الرندي على نوعين من الموسيقى الشعرية: منها: الموسيقى الخارجية الوزن والقافية.

والموسيقى الداخلية: التكرار والطباق والجناس ورد العجز على الصدر، ومن ذلك قوله في رثاء الأندلس:

[1]- المقري، المصدر السابق، ص 59.

[2]- إبراهيم إنيس، موسيقى الشعر، ط3، مكتبة أنجلو المصرية، 1965، ص 18.

فجـــائع الـــدهر أنـــواع متنوعـــة وللزمـــان مـــرات وأحـــزان

وللحـــوادث ســـلوان يهونهـــا ومـــا لمـــا حـــل بالإســـلام ســـلوان[1]

الشعر الأندلسي لأبي البقاء واتجاهاته:

1- الرثاء:

من الفعل رَثى يقال: ثر الميت رَثْياً رثاه، ورثيت الميت رثيا ورثاء ومرثاه ومَرْثِيةً ورَثَّيْته: مَدَحْته بعد الموت وبَكَيْته[2].

الرثاء في الاصطلاح: هو تأبين الميت مع ذكر محاسنه وفضائل أخلاقه.

وهو تصوير ما يترك فقده من أثر في القلوب من أسى وحسرة وقوع سواء بالشعر، أو بالنثر، ولعلماء الشعر في رثاء أمواتهم قولان: جواز الرثاء لأنه يزيل الهم، ويطمئن النفس، وهو مذهب أبي حنيفة"[3].

2- التأبين:

عرفه أهل اللغة بأنه: مع الرجل بعد موته".

وقد اعتبر شعر الخنساء مزجا بين التأبين والرثاء، ولا فرق بين المدح والتأبين وقد اعتبر شعر الخنساء مزجا بين التأبين والرثاء، ولا فرق بين المدح والتأبين ذكره قدامة فقال: "لا فضل بين المدح والتأبين إلا في اللفظ دون المعنى".

---

[1]- صالح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2009، ص 131.

[2]- الخليل ابن أحمد الفراهيدي، العين، تح: هنداوي عبد الحميد، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص 97.

[3]- ابن منظور الإفريقي (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الخزرجي المصري)، لسان العرب، ط1، دار صادر بيروت، ، دت، مج15، ج6، ص 19.

والتـأبين هـو أقـرب إلى تعـداد الخصـال وأزجـال الشـتاء، بـل إنـه إشـادة بخصـال المتوفى وذكر منزلة في عشيرته أو مجتمعه.

حـي عرفـه الجـوهري النـدب فقـال: "هـو البكـاء الميـت وتعـداد حسـانته والنـواح عليه بألفاظ حزينة وعبارات تذيب الأكباد الغليظة مما يصاحبها من صياح وعويل".

3- العزاء:

العـزاء هـو الصـبر علـى مـا يصـيب الإنسـان مـن مصـائب وأقـدار وأوجـاع، وقـد اقتصـر مفهومهـا علـى مصـيبة المـوت الـتي تخطـف الأحبـة، والعـزاء هـو الصـبر عـن كـل مـا فقـدت تقـول: عزيـت فلانـا أعزيـه تعزيـة، أي آسـته وضـربت لـه الأسـى وأمرتـه بـالعزاء فتعزى تعزيا. أي تصبر تصبيرا، وتعازي القوم: عزى بعضهم بعضا[1].

التعزيـة: هـي الـدعاء للميـت بـالمغفرة وللمصـاب بجـير المصـيبة، وهـي محتسـبة. ومـأجور علـى فعلهـا، كمـا أنهـا تهـون النصـيبة، وتخـط علـى التـزام الصـبر واحتسـاب الأجـر إذ يقول:

ولـــولا كثـــرة البـــاكين حـــولي علـــى إخـــوانهم لقتلـــت نفســـي
ومـــا يبكـــون مثـــل أخـــي ولكـــن اعـــزّي الـــنفس عنـــه بالتأســـي[2]

4- النعي:

النعـي هـو الإشـعار المـرتبط بالمـدح للميـت وتعـداد صـفاته، فنعـى الميـت ينعـاه نعيا، ونعيا إذا أذاع موتا، وأخبريه، وإذا ندبه[3].

[1]- ابن منظور، المصدر السابق، ج1، ص 52.

[2]- الخنساء، ديوان الخنساء، تح: إبراهيم عمر، مطبعة السعادة، القاهرة، 1985، ص 255.

[3]- ابـن فـارس أحمـد بـن زكريـا، معجـم مقـاييس اللغـة، تـح: عبـد السـلام هـارون، دار الفكـر للطباعـة، بـيروت، 1979، ص 1036.

قصيدة أبو البقاء الرندي:

لِكُـــلِّ شَـــيْءٍ إِذَا مَـــا تَـــمَّ نُقْصَـــانُ فَـــلَا يُغَـــرَّ بِطِيـــبِ العَـــيْشِ إِنْسَـــانُ
هِـــيَ الأُمُـــورُ كَمَـــا شَـــاهَدْتَهَا دُوَلٌ مَـــنْ سَـــرَّهُ زَمَـــنٌ سَـــاءَتْهُ أَزْمَـــانُ
وَهَـــذِهِ الـــدَّارُ لَا تُبْقِـــي عَلَـــى أَحَـــدٍ وَلَا يَـــدُومُ عَلَـــى حَـــالٍ لَهَـــا شَـــانُ
يُمَـــزق الـــدهرُ حتمًـــا كـــلَّ ســـابغةٍ إذا نَبَـــتْ مَشـــرَفِيات وخَرصـــانُ
ويَنتَضـــي كـــلَّ ســـيفٍ للفنـــاءِ ولـــو كـــانَ ابـــنَ ذي يَـــزَنٍ والغِمـــدَ غِمـــدانُ
أيـــنَ المُلـــوكُ ذوو التيجـــانِ مـــن يَمـــنٍ وأيـــنَ مِـــنْهُمْ أكَالِيـــلٌ وتِيجـــانُ
وأيـــنَ مـــا شَـــادَهُ شَـــدَّادُ فـــي إرمٍ وأيـــن مـــا سَاسَـــه فـــي الفـــرس ساســـانُ
وأيـــنَ مـــا حـــازَهُ قَـــارُونُ مـــن ذَهَـــبٍ وأيـــن عـــادٌ وشـــدادٌ وقحطـــانُ
أتـــى علـــى الكـــلِّ أمـــرٌ لا مَـــرَدَّ لـــه حتـــى قضـــوا فكـــأنَّ القـــومَ مـــا كـــانوا
وَصَـــارَ مَـــا كَـــانَ مِـــنْ مُلـــكٍ ومـــنْ مَلـــكٍ كمـــا حَكَـــى عَـــنْ خيـــالِ الطيـــفِ وَسْـــنانُ
دارَ الزمـــــانُ علـــــى دارا وقاتلـــــه وأمَّ كســـــرى فمـــــا آواهُ إيـــــوانُ
كأنَّمَـــا الصَّـــعْبُ لَـــم يَســـهُل لـــهُ ســـببُ يومًـــا وَلا مَلَـــكَ الـــدنيا ســـليمانُ
فجـــائعُ الـــدهرِ أنـــواعٌ منوعـــةٌ وللزمـــانِ مَسَـــرَّاتٌ وأحـــزانُ
وللحـــوادثِ سُـــلوانٌ يُسَـــهِّلُهَا وَمَـــا لِمَـــا حـــلَّ بالإســـلامِ سُـــلوانُ
دَهَـــى الجزيـــرةَ أمْـــرٌ لا عـــزاءَ لـــهُ هـــوى لـــهُ أُحـــدٌ وانهـــدَّ ثَهـــلانُ
أصـــابَها العـــينُ فـــي الإســـلامِ فـــارتزأتْ حتّـــى خلـــتْ منـــهُ أقطـــارٌ وبلـــدانُ
فاســـألْ بَلَنْسِـــيَةَ مـــا شـــأنُ مُرســـيةٍ وأيـــنَ شـــاطبةٌ أمْ أيـــنَ جيَّـــانُ
وأيـــنَ قرطبـــةٌ دارُ العلـــومِ فكَـــمْ مِـــنْ عـــالِمٍ قَـــدْ ســـما فيهـــا لـــهُ شـــانُ
وأيـــن حِمـــصُ ومـــا تحويـــهِ مِـــنْ نُـــزَهٍ ونهرُهـــا العـــذبُ فيّـــاضٌ ومـــلآنُ
قواعـــدٌ كُـــنَّ أركـــانَ الـــبلادِ فمـــا عســـى البقـــاءُ إذا لـــمْ تبـــقَ أركـــانُ

تبكـي الحنيفيـةُ البيضـاءُ مِـن أسـفٍ كمـا بكـى لفـراقِ الإلـفِ هَيمـانُ
عَـلى دِيـارٍ مِـنَ الإِسـلامِ خالِيَـةٍ قَـد أَقـفَرَتْ وَلَهـا بـالكُفرِ عُمـرانُ
حيـثُ المسـاجدُ قـدْ صـارتْ كنـائسُ مـا فـيهنَّ إلّا نـواقيسٌ وصُـلبانُ
حتـى المحاريـبُ تبكـي وَهْـيَ جامـدةٌ حتـى المنـابرُ تَرثـي وهْـيَ عِيـدانُ
يـا غـافلاً ولـهُ فـي الـدهرِ موعظـةٌ إنْ كنـتَ فـي سِـنَةٍ فالـدهرُ يقظـانُ
وماشـيًا مرحًـا يُلهيـهِ موطنُـهُ أبَعْـدَ حمـصٍ تَغـرُّ المـرءَ أوطـانُ
تلـك المصـيبةُ أنْسَـتْ مـا تقـدَّمها ومـا لهـا مـعَ طـولِ الـدهرِ نِسـيانُ
يـا أيهـا الملـكُ البيضـاءُ رايتُـهُ أدركْ بسـيفِكَ أهـلَ الكُفـرِ لا كـانوا
يـا راكبـينَ عِتـاقَ الخيـلِ ضـامرةً كأنهـا فـي مجـالِ السَّـبقِ عُقبـانُ
وحـاملينَ سـيوفَ الهنـدِ مُرهفـةً كأنهـا فـي ظـلامِ النَّقـع نِيـرانُ
وراتعـينَ وراءَ البحـرِ فـي دَعـةٍ لهـمْ بأوطـانهمْ عِـزٌّ وسُـلطانُ
أعنـدكم نبـأٌ مـنْ أهـلِ أنـدلسٍ فقـدْ سـرى بحـديثِ القـومِ رُكبـانُ
كـمْ يسـتغيثُ بنـا المستضـعفونَ وهُـمْ قتلـى وأسـرى فمـا يهتـزُّ إنسـانُ
مـا ذا التقـاطعُ فـي الإسـلامِ بينكمُ وأنـتمُ يـا عبـادَ الله إخـوانُ
ألا نفـوسٌ أبيَّـاتٌ لهـا همـمٌ أمـا علـى الخيـرِ أنصـارٌ وأعـوانُ
يـا مَـنْ لذلـةِ قـومٍ بعـدَ عـزَّتِهِم أحـالَ حـالهُمُ كفـرٌ وطُغيـانُ
بـالأمسِ كـانوا ملوكًـا فـي منـازِلِهِم واليـومَ هـمْ فـي بـلادِ الكفـرِ عُبـدانُ
فلـو تـراهمْ حيـارى لا دليـلَ لهـمْ علـيهِمُ مـنْ ثيـابِ الـذلِّ ألـوانُ
ولـو رأيـتَ بكـاهُم عنـدَ بـيعِهِمُ لهالَـكَ الأمـرُ واسـتهوتْكَ أحـزانُ
يـا رُبَّ أمٍّ وطفـلٍ حِيـلَ بينهمَـا كمـا تُفـرَّقُ أرواحٌ وأبـدانُ
وطفلـةٍ مثـلَ حسـنِ الشـمسِ إذْ طلعـتْ كأنمـا هـي يـاقوتٌ ومَرجـانُ

يقودُهـــا العلـــجُ للمكـــروهِ مُكرهـــةً والعـــينُ باكيـــةُ والقلـــبُ حَيـــرانُ

لمِثـلِ هـذا يـذوبُ القلـبُ مـن كمـدٍ إنْ كـانَ فـي القلـبِ إسـلامٌ وإيمـانُ

قصيدة الرندي من خلالها يصف أهل الأندلس وغرناطة بعد توالي سقوط الحواضر الأندلسية في أيدي النصارى[1].

يعالج أبي البقاء الرندي من خلال القصيدة ندب بلاد الأندلس، وهي قصيدة رثاء مفهمة بأعمق المشاعر وأسمى الأحاسيس، يكون فيها أبو البقاء مصير الإسلام والمسلمين بعد سقوط المدن.

وقد احتوت على مواعظ وحكم وبيان أحوال الدنيا وتقلبان الدهر وكما اختار لها مطلعا من أجود ما قبل في الحكمة، إلا أن البقاء استطاع إضافة عبارات، فتميزت هذه الأبيات بخير مدخل وفق فيه الشاعر.

كما اختار الشاعر ألفاظا جيدة السبك، واستخدامه للوسائل البلاغية الملائمة، وهذا دليل على ثقافة الشاعر وإتقانه، وترتيب أفكاره ويعطيها إيقاعا يميزها عن سواها[2].

[1]- المقري، المصدر السابق، ج4، ص 487-488.

[2]- يوسف عبده، المرجع السابق، ص 53.

خاتمة

لقد كانت سرعة انتشار الإسلام في الأندلس من خلال الاستبداد الذي مارسته الكنيسة، وكيف لا وقد وجد الأوروبيون تسامحا كبير فقدوه لقرون طويلة فدخلوا في الإسلام أفواجا بعد أن تحسنت أوضاعهم وتخلصوا من الرق.

ورغم هذا الانتشار السريع للإسلام إلا أنه أقلق الكنيسة التي ظلت تستغل الفرص للقضاء على الإسلام والمسلمين، فمع نشأة المقاومة النصرانية واشتدادها بدأت تتبلور الزعائم الكنيسية من خلال امتزاج السلطتين الروحية والزمنية التي ترسخت أكثر خلال القرن 11م بعد سقوط طليلة وتحويلها عاصمة للمقاومة والكنيسة، فبدأت نهاية الإسلام ومن خلال حروب الاسترداد أخذت الكنيسة على عاتقها مهمة مباركة قتال المسلمين وشجعت النصارى الذين تدافعوا كالسيل على الأندلس.

ومن خلال بساط الخلفية التاريخية لتلك الحقبة الزمنية، فتحنا مغاليق الشعر الأندلسي إذ لا يمكن فهم النتاج الشعري، والتغلغل في نسيجه الجمالي والفني دون وعي بملابساته والظروف التي أفرزته أثناء حروب الاسترداد التي أدت إلى ظهور شعر النكبات.

لقد خطوا الأندلسيين خطوات بشعرهم، كفاء كرم الأحداث التي عايشوها من خلال فقدان الأحبة وكذلك سقوط المدن وهو الحبيب الأول، فإننا نجد جذوة الشاعر مضطرمة، ومجالات المعرفة والثقافة طامحة مستبشرة، تضيء طريقا مظلمة عانى منها الأندلسيين في تلك الفترة.

لعلها أهمها على الصعيد العام، نكبة بربشتر ونكبة طليطلة، أما على الصعيد العام، نكبة سقوط المدن والممالك، ومع ذلك فقد تناولنا في دراستنا التي تطرقنا فيها

إلى الشعر الأندلسي ولو بقليل من حقه من الأهمية التي اقتصرت على دراسة شعر النكبات من خلال الدور الذي لعبه في التأصيل التاريخي للأحداث التي مست بسقوط الأندلس والأحداث التي كانت خلال تلك الحقبة الزمنية متتبعة النصوص الشعرية محللة انعكاس الأحداث وصدى أصواتها على الشعراء.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر

1) إبـراهيم القـادري بوتشـيش، الانحصـار الغـربي في الأنـدلس في أواخـر العصـر الإمـارة هـل كـان وراءه تفـوق مسـيحي، مجلـة المـؤرخ العـربي الأمانـة العامـة لاتحـاد المـؤرخين العـرب، عدد 34، سنة 13 بغداد 1407هـ 1987م.

2) ابـن أبي أصـبعة، عيـون الأنبـاء في طبقـات الأطبـاء، تـح: محمـد باسـل، عيـون السـور، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1.

3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ط3، دار الكتاب العربي، بيروت.

4) ابـن الخطيـب، أعمـال الأعـلام في بويـع قبـل الاحـتلام مـن ملـوك الإسـلام، تـح: ليفي بروفنسال، دار المكشوف، ط2، 1956.

5) ابـن الخطيـب، الإحاطـة بأخبـار غرناطـة، تـح: محمـد عبـد الله عنـان، المكتبـة الخانجي، القاهرة، ج2، 1973.

6) ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3.

7) ابـن الخطيـب، تـاريخ اسـبانيا أو كتـاب أعمـال فـيمن بويـع قبـل الاحـتلال مـن ملـوك الإسلام، تحقيق وتعليق اليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروتط2، 1956م.

8) ابـن الخطيـب، لسـان الـدين، عمـره، بيئتـه، وحياتـه ومـآثره، بـيروت دار الكتـب العلمية، 1994.

9) ابـن الـدراج القسـكلي، أبـو عمـر أحمـد بـن محمـد بـن العـاص (ت 421هـ/1030م)، 1961م، الـديوان، حققـه وعلـق عليـه وقـدم لـه محمـود مكـي، ط1، منشورات المكتب الإسلامي بدمشق.

10) ابـن النـديم، الفهرسـت، تـق: يوسـف علـي الطويـل، دار الكتـب العلميـة، بـيروت، لبنان.

11) ابن بسام أبو الحسن على بن سالم السنتريني (ت542هـ/1148م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق سالم مصطفى البدري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج2، 1419هـ/1998م.

12) ابن خلدون عبد الرحمن الحضرمي (ت808هـ)، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العجم ومن عاصرهم من ذوي شأن الأكبر، مر: سهيل زكار ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 1421هـ 2000م.

13) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: الصادق الحاوي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992م.

14) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: م ر م س كولان، ليفي بروفينسال، ط3، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م.

15) ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس، ط3، الدار العربية للكتاب، بيروت، 1983م.

16) ابن فارس أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة، بيروت، 1979.

17) ابن منظور الإفريقي (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري الخزرجي المصري)، لسان العرب، ط1، دار صادر بيروت، ، دت، مج15، ج6.

18) أبو بقاء الرندي، ديوان أبو بقاء الرندي، تح: رفعت برهام حسن، ط1، د ن، القاهرة، دت.

19) أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، حققه الدكتور: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، ج1.

20) البستاني بطرس، ديوان ابن سهل الإسرائيلي، مكتبة صادر، بيروت، 1953م.

21) الحميري علي بن زيد بن قحطان، شاعر جاهلي لقب ذو دودجن لحسن صوته. ينظر: السجستاني، تح: عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب، القاهرة.

22) الخليل ابن أحمد الفراهيدي، العين، تح: هنداوي عبد الحميد، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.

23) الخنساء، ديوان الخنساء، تح: إبراهيم عمر، مطبعة السعادة، القاهرة، 1985.

24) الذهبي: سر أعلام النبلاء، ج18، بيت الأفكار، د.ط، د.ت.

25) الزيات عبد الله، رثاء المدن في شعر الأندلس، منشورات جامعة قار يدنس بنغازي، 1990.

26) الشايب أحمد: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني الهجري، ط4، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1966.

27) الطويل يوسف، مدخل إلى الأدب الأندلسي، ط1، دار الفكر، بيروت، 1991.

28) عبد الرحمن الحجي، تاريخ الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة (92-897م/711-1492م)، ط2، دار القلم، دمشق، سوريا، 1402هـ 1981م.

29) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمود الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1974.

30) لسان الدين ابن الخطيب، اللحمة البدرية في الدولة النصرية، منشورات الآفاق الجديدة، ط2، بيروت، سنة 1980.

31) محمد ابن عبد المنعم الحمري، الروض المعطار في خير الأقطار، تح: دكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، سنة 1975.

32) محمد العريس، موسوعة شعراء العصر الأندلسي، دار يوسف للطباعة والنشر، بيروت، 2005.

33) محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، نهاية وتاريخ العرب المنتصرين، العمر الرابع، ط3، القاهرة، 1966.

34) المقري التلمساني، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1388هـ 1968م، ج1.

35) المقري، أحمد بن محمد، أخبار الرياض في أخبار عياض، ج1.

36) المقري، نفح الطبيب في غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، ج5، د.ط، دار صادر، بيروت، د.ت.

37) مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار عبد القادر زمالة، ط1، 1399هـ-1979م.

38) ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة تاريخ العلامة ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، الدار التونسية، تونس، 1984.

39) ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، حقق نصوصه وأخرج أحاديثه وعلق عليه عبد الله محمد درويش، ط1، دار يعرب، دمشق، 2004، ج3.

40) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج1، دار صادر 1993.

المراجع

41) إبراهيم إنيس، موسيقى الشعر، ط3، مكتبة أنجلو المصرية، 1965.

42) أبو شامة المقدسي: الروضتين في أخبار تاريخ الدولتين النورية والصلاحية، إعداد: حسين العاصي، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، 1411هـ- 1991م.

43) أحمد مختار العبادي، تاريخ المغرب والأندلس.

44) إسماعيل بن بلبل: هو أبو الصقر أحد وزراء الخليفة المعتمد. ينظر: معجم أنساب لزامباور، ج1، مطبعة جامعة فؤاد الأولى، مصر، 1951م.

45) أيمن يوسف إبراهيم جرار، الحركة الشعرية في الأندلس (عصر بني الأحمر)، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين.

46) أيمن يوسف إبراهيم جرار، الحركة الشعرية في الأندلس جامعة النجاح الوطنية فلسكين، د.ت، د.ط.

47) بهجت منجد مصطفى، الاتجاه الإسلامي في الشعر الأندلسي في عهدي ملوك الطوائف والمرابطين، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986.

48) حسن مؤنس، فجر الأندلس دراسة في تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الأموية "711- 756م"، ط1، دار الرشاد، القاهرة، مصر، 1959.

49) حسين مؤنس، تاريخ المغرب وحضارته قبل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ القرن السادس عشر إلى التاسع عشر، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، 1412هـ 1992م، ج2.

50) الحميري: صفة جزيرة الأندلس، تح: ليفي بروفنسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1988.

51) خاشع المعاضيدي، سوادي عبد محمد، دريد عبد القادر نوري، تاريخ الوطن العربي والغزو الصليبي، دن، دب، ط2، 1986م.

52) رجب محمد عبد الحليم، العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية والملوك الطوائف، دار الكتب المصرية، د ط، د ت.

53) رشا عبد الله الخطيب، تجربة السجن في الشعر الأندلسي، رسالة ماجستير، 1996.

54) زكي مبارك، زهر الأداب وثمر الألباب للحصري، ج1، مكتب المحتسب، عمان، ط4، 19672م.

55) السامرائي خليل إبراهيم، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، ط1، دار المدار الإسلامي، 2004.

56) سعيد عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4،الإسكندرية، 1986م، ج1.

57) سعيدون نصر الله، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1، دار النهضة، بيروت، 1998م.

58) السيد البار القرني، الشرق الأدنى في العصور الوسطى الأيوبيون، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ت.

59) السيد عبد العزيز بن سالم: في تاريخ وحضارة العرب في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1988.

60) صالح جرار، قراءات في الشعر الأندلسي، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2009.

61) طاهر أحمد مكي: دار ماش الأندلسية في الأدب والتاريخ والفلسفة، دار المعارف، 1983.

62) الطرابلسي أحمد أعراب، الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي، مجلة عالم الفكر، مج12، أبريل 1981.

63) الطرابلسي أحمد، إعراب الأصوات النضالية والانهزامية في الشعر الأندلسي.

64) طويل يوسف، مدخل إلى الأدب الأندلسي.

65) عادي سعيد بشتاوي، الأندلسيون المواركة، ط1، مطابع انتر ناشيونال، القاهرة، مصر، 1989م.

66) عاصي ميشال: الشعر والبيئة في الأندلس، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1970.

67) عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، د.ط، سنة 2001.

68) عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس.

69) عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بني الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.

70) عبد الله الربيعي، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، د ن، الرياض، د ط، 1415هـ.

71) عبد الله الربيعي، أثر الشرق الإسلامي في الفكر الأوروبي خلال الحروب الصليبية، دن، د ط، الرياض، 1415هـ.

72) عبد المحسن طه رمضان: الحروب الصليبية في الأندلس، مكتبة الأنجار المصرية، القاهرة، دط، 2001.

73) عطوي فوزي، المعلقات العشر دراسة ونصوص، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، 1969.

74) علي حسين الشطشاط، نهاية الوجود الغربي في الأندلس، دار القباء، القاهرة، مصر، 2001.

75) علي راغب السرحاني من الفتح إلى السقوط، ط1، مؤسسة إقراء للنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة.

76) علي محمد الصلابي، صلاح الدين الأيوبي وجهوده في القضاء على الدولة الفاطمية وتحرير بيت المقدس، موسوعة الحروب الصليبية، دار المعرفة،ـ بيروت، لبنان، ط2، 1429هـ 2008م.

77) علية الجنزوري، الحروب الصليبية المقدمات السياسية، الهية المصرية للكتاب، القاهرة، دت، ص: 249.

78) عنان محمد عبد الله: عصر المرابطين والموحدين في الأندلس، العصر الثالث، ط1، القاهرة 1961.

79) عنان محمد عبد الله، دولة الإسلام في الأندلس، الخلافة الأموية والدولة العامرية العصر الأول، القسم الثاني، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1417هـ 1997م.

80) عنان، دولة الإسلام بالأندلس، م1، ق2.

81) عوض محمد أسعد الدوري، ابن اللبانة الأندلسي، جامعة تكريت، كلية التربية سامراء، مج 3، ع7.

82) عيد يوسف، أصوات الهزيمة في الشعر الأندلسي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1993.

83) عيسى فوزي سعد، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991.

84) عيسى فوزي سعد، الشعر الأندلسي في عصر الموحدين، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1991.

85) فاروق عمر فوزي، الوسيط في تاريخ فلسطين في العصر الإسلامي، دار الشروق.

86) قايد حماد عاشور، جهاد المسلمين في الحروب الصليبية، مؤسسة الرسالة، مصر، ط3، 1405هـ.

87) المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، سقوط الأندلس عوامل وتجليات قراءة في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، مج6، ع11، جوان 2020.

88) محمد حامد الناصر، الجهاد والتجديد، مكتبة الكوثر، الرياض، ط1، 1419هـ1998.

89) محمد حمدان، آداب النكبات في التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.

90) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، د3 ق2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1411هـ- 1979.

91) محمد عبد الله عنان، الأندلس وتاريخ العرب والمنتصرين دولة الإسلام في العصر الرابع.

92) محمد عبده، حاملة الأندلس والتاريخ والحضارة، دراسة شاملة طباعة مطابع الدستور التجاري، عمان، الأردن، 2000.

93) محمد عمروسي: الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامية، بيروت، ط2، دت.

94) مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، موضوعاته وفنونه، ط10، د ن، دب، 2000.

95) مفدي الزيدي، تاريخ الحروب الصليبية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، د ط، 2004.

96) يوسف أشباخ، تاريخ الأندلس في عهد المرابطين الموحدين، تح: عبد الله عنان، ج2، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1996.

97) يوسف عطاء الطريقي، شعراء العرب (المغرب والأندلس)، ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية، عمان، 2008.

فهرس المحتويات

شكر

إهداء

مقدمة ..... أ

المدخل: ضعف الأندلس وانتشار الفتن وتقسيم البلاد 1

الفصل الأول: ماهية حروب الاسترداد

تمهيد 8

المبحث الأول: أسباب حروب الاسترداد..... 10

1- الأسباب السياسية 10

2- الأسباب الاجتماعية 13

3- الأسباب الاقتصادية..... 14

4- الأسباب الدينية 15

المبحث الثاني: ظروف حرب الاسترداد 18

1- الظروف النصرانية 18

2- الظروف الإسلامية 20

المبحث الثالث: نتائج حروب الاسترداد..... 26

1- ظهور النكبات الأندلسية 26

2- أشكال ومظاهر النكبات الأندلسية 29

3- نماذج عن النكبات 31

الفصل الثاني: التأصيل التاريخي للنكبات الأندلسية

المبحث الأول: التأصيل التاريخي للنكبات الأندلسية 39

1- تأصيل المؤرخين المسلمين 39

2- تأصيل المؤرخين النصارى..... 44

المبحث الثاني: التأصيل الشعري للنكبات..... 47

1- شعر النكبات وبداية ظهوره 47

2- **الصراع بين النصارى والمسلمين**..... 47

3- **دراسة مقارنة بينه وبين شعر الرثاء**..... 51

4**-دراسة وصفية لشعر النكبات** 54

المبحث الثالث: دراسة لبعض نماذج شعر النكبات وما حدث..... **58**

1- نكبة بريشتر 58

2- نكبة طليطلة 61

الفصل الثالث: شعر أبي بقاء الرندي والنكبات الأندلسية

خاتمة 77

قائمة المصادر والمراجع 80

فهرس المحتويات 91